

إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق

دراسة تحليلية

إعداد : د. محمد بن سعيد السرحاني *

مقدمة:

تعددت الأطروحات وتتنوع المناهج والمنطلقات في مواجهة الحركة الاستشراقية، وكانت كتابات إدوارد سعيد من أبرز هذه الأطروحات في هذا الميدان، فقد لاقت كتاباته رواجاً واسعاً وصدى كبيراً، وخلفت مؤلفاته نقاشات أكاديمية هائلة وردود أفعال واسعة بما تميزت به من عمق فكري وتأصيل علمي منهجي، وما احتوته من بيان حقيقة الاستشراق وكنهه ومناهجه ومنطقاته، وعلاقته بالاستعمار، ووصفه لواقع الاستشراق بأنه أسلوب للهيمنة على الشرق يقوم على ادعاء فوقية الغربي مقابل دونية الشرقي وعجز الشرقي على تمثيل نفسه مما حدا بالغربي إلى تمثيله وفرض السيطرة عليه، فكانت الدراسات الاستشراقية تبريراً للاستعمار الغربي لبلاد المسلمين كما بين ذلك إدوارد سعيد في عدد من كتبه.

وقد كان لسعيد الفضل الكبير في إبراز القضية الفلسطينية والدفاع عن حقوق الفلسطينيين، فقد عمل على إصدار العديد من الكتب ومئات المحاضرات

* الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة

للتعريف بالقضية الفلسطينية على مستوى عالمي. ولم يقتصر دفاعه على حقوق الفلسطينيين بل نادى بحقوق المظلومين في أماكن متعددة.

وقد تميز بعقلية نقدية متوقدة وجرأة وشجاعة فائقة في الصدع بالحق والدفاع عن حقوق المظلومين في مواجهة القوى السياسية المتسلطة، فكانت شخصيته مثالاً للمثقف الحر المناهض عن الحق المكافح والمناضل ضد أشكال الاستبداد والظلم.

وقد تميز بتعدد الأطروحات وشمولية كتاباته واهتماماته، فكان من الطبيعي أن تتعدد الدراسات والأبحاث في دراسة شخصيته ومنهجيته في دراسة الاستشراق، فكانت هذه الدراسة لمحاولة استجلاء أسباب هذا البروز والتميز والانتشار الواسع لأطروحاته، ومحاولة الوقوف على أبرز ملامح المنهجية العلمية التي تفرد بها إدوارد سعيد في أطروحاته مع استنباط الدروس والفوائد من استعراض مسيرة حياته وما تميزت به شخصيته من تفوق وتميز وجدية وتحدي. وجاءت هذه الدراسة في أربعة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول: حياة إدوارد سعيد ومكانته العلمية.

الفصل الثاني : المؤثرات الاجتماعية والفكرية في حياة إدوارد سعيد.

الفصل الثالث: منهجية إدوارد سعيد في دراسة الاستشراق.

الفصل الرابع: موقف إدوارد سعيد من الاستشراق.

الفصل الأول

حياة إدوارد سعيد ومكانته العلمية

أولاً: حياة إدوارد سعيد :

ولد إدوارد سعيد في القدس عام ١٩٣٥م لأبوين عربيين يعتنقان المذهب البروتستانتي، كانت والدته سعيد فلسطينية من مدينة الناصرة، مثقفة ومحافضة، درست في مدرسة داخلية مسيحية، ومنها انتقلت إلى "الجونيور كوليج" في بيروت لأصولها اللبنانية، وجدته لأمه كانت بالمدرسة ذاتها، وجدته لأمه هو القسيس الممعداني في الناصرة^(١).

وأما والد سعيد فمن القدس من أصول فلسطينية، وقد ترك فلسطين وهاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩١١م في السادسة عشرة من عمره، درس فيها وعمل لسنوات طويلة بعد أن شارك في الحرب العالمية الأولى، ضمن قوة التدخل الأمريكية وقا تل معها في جورجيا وفرنسا وعاد إلى القدس عام ١٩٢٠م ليمارس التجارة في القدس، ثم استقر به المقام مع عائلته في القاهرة عقب نكبة ١٩٤٨م.

(١) إدوارد سعيد خارج المكان، ترجمة: فواز طرابلسي، دار الأدب للنشر والتوزيع، ط١، عام ٢٠٠٠م، ص ٢٧.

انتقلت عائلته إلى القاهرة -والتي قضى معظم طفولته فيها- وكان والده يعمل في التجارة فتلقى تعليمه الأولي في مدرسة فيكتوريا البريطانية في الإسكندرية ثم انتقل إلى إعدادية الجزيرة بالقاهرة عام ١٩٤١م^(٢).

ثم انتقل إلى مدرسة القاهرة للأطفال الأمريكيين عام ١٩٤٦م،^(٣) تخلصها فترات انقطاع عن الدراسة قضاها مع أسرته في القدس، وفي السادسة عشرة من عمره غادر مصر إلى مدرسة داخلية في نيوانجلاند في الولايات المتحدة الأمريكية، عام ١٩٥١م، ومنها التحق بجامعة برنستون وحصل على درجة البكالوريوس عام ١٩٥٧م، وقد تابع دراساته العليا في الأدب الإنجليزي في جامعة هارفارد وحصل على الماجستير عام ١٩٦٠م، والدكتوراه في الآداب في الجامعة نفسها عام ١٩٦٤م^(٤).

عمل أستاذاً للآداب في جامعة كولومبيا بنيويورك والتي قضى فيها معظم حياته الأكاديمية، وانتقل أستاذاً زائراً في عدد من كبريات المؤسسات الأكاديمية مثل جامعة هارفرد، وجون هوبكنز^(٥).

(٢) ينظر: المرجع نفسه ، ص ٥٤.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص ١١٣.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص ٣١٢.

(٥) ينظر: زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٢٩٥.

تميز سعيد بثقافته الشمولية واهتماماته الأدبية والسياسية والفكرية المتعددة، فقد كتب في السياسة والأدب والاستشراق، والنقد، والموسيقى، وأنتج أكثر من عشرين كتاباً تُرجمت معظمها إلى إحدى وثلاثين لغة^(٦).

كان من أوائل كتبه بدايات عام ١٩٧٥ م عن الكاتب البولندي كونراد، ثم كتابه الأشهر الاستشراق عام ١٩٧٨ م، ومسألة فلسطين عام ١٩٧٩ م، وبعد السماء الأخيرة عام ١٩٨٦ م، وكلاهما عن الصراع العربي الإسرائيلي، ثم متتاليات موسيقية عام ١٩٩١ م، والثقافة والإمبريالية عام ١٩٩٣ م، والأدب والمجتمع، وتغطية الإسلام ١٩٨١ م والذي يقول في مقدمته : "هذا الكتاب هو الثالث والأخير من سلسلة ثلاثية - الاستشراق ١٩٧٨، والمسألة الفلسطينية ١٩٧٩ م".^(٧)

ومن كتبه :لوم الضحية، والسلام والسخط، وسياسة التجريد، وتمثيلات المثقف، وغزة وأريحا، وسلام أمريكي ١٩٩٤ م، و خارج المكان ١٩٩٩ م. يؤكد إقبال أحمد مكانة كتب إدوارد سعيد في الأوساط العلمية الغربية فيقول: " إن معظم كتبه تدرس بانتظام في الدورات الجامعية في كل أنحاء

(٦) مريد البرغوثي، إدوارد سعيد، صوت التفكير المسـنـقل،

www.mouridbarghouti.net

(٧) إدوارد سعيد، تغطية الإسلام، ص ٧.

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩) رجب ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق

الولايات المتحدة وأوروبا، لقد أصبح كتاب الاستشراق واحداً من عيون الكتب في الواقع^(٨).

ولا شك بأن كتبه وخصوصاً كتاب الاستشراق من أبرز عوامل شهرته الفكرية، الذي لاقى صدى كبيراً وخلف نقاشات أكاديمية هائلة، فلم يحظ كتاب - في الربع الأخير من القرن الماضي - باهتمام عالمي واسع مثلما حظي كتاب (الاستشراق) للمفكر الراحل إدوارد سعيد^(٩).

وكتاب الاستشراق لإدوارد سعيد بناءً فكرياً في ثلاثة مستويات:

الأول: هو افتراض التناقض الجذري بين الشرق والغرب تناقضاً يصاغ في ثنائيات من اللاعقلانية والبدائية والأخلاقية التي يوسم بها الشرق مقابل العقلانية والتقدم والفضيلة الغربية.

والمستوى الثاني: يتمثل في العلوم المختلفة مثل: الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد. المكونة للدراسة الأكاديمية للاستشراق التي تعكس وتدل ثنائية على التعارض الجذري عند المستشرقين.

أما المستوى الثالث: فهو المؤسسات التي تخدم إدارة الاستعمار الغربي للشرق، ويرصد سعيد الارتباط بينها جميعاً لتكون معاً نظاماً للحقيقة والسيطرة

(٨) إدوارد سعيد ، القلم والسيوف ، حوارات مع دافيد بارسيمان ، ترجمة : توفيق الأسدي ،

دار كتعان للدراسات والنشر ، ط ١ ، ١٩٨٨ م ، ص ٧.

(٩) شعبان يوسف ، طرف من نقد استشراق إدوارد سعيد: هل كان ماركس مستشرقاً، مجلة

فصول، العدد ٦٤ صيف ٢٠٠٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١٨٧.

وهيمنة مركبة يمكن من خلالها نقل وترجمة النصوص التي أصبحت أساس علم الاستشراق والتي استخدمت لإثبات بدواة وانحدار وتعصب الشرق وبالتالي ضرورة رسالة الغرب الحضارية له^(١٠).

وقد كان ظهور الترجمات المتعددة، وكل ذلك الاهتمام والانتشار لتلك الترجمات والجدل الواسع لهذا الكتاب يعود إلى ما كشفه إدوارد سعيد في كتابه من العلاقة بين الاستشراق والسياسة.

وقد لقي سعيد وكتابه احتراماً وإعجاباً حتى من بعض من ناقشوا أفكاره ومنهم صادق جلال العظم والذي يقول عن سعيد وكتابه الاستشراق : "ولاشك في أن الكتاب ترك أثراً هائلاً في مجموعة من المجالات التي نادراً ما يبصمها كتاب واحد ببصمته وطريقته. فكثير من العلوم من الإنترولوجيا إلى اللسانيات إلى علم الاجتماع وحتى النقد الأدبي، كانت شيئاً قبل "الاستشراق" وصارت بعده شيئاً آخر. وهو كتاب دشّن برأبي مرحلة من النقاش والسجال والنقد على مستوى عالمي ودولي وحتى عولمي. لم يسبق لكتاب أن كان في لحظة واحدة عابراً للقارات واللغات والثقافات مثل هذا الكتاب، فكانت ظاهرة لافتة وكبيرة، وجاءت ردود الفعل المؤيدة لما جاء في الكتاب أو المناقضة أو البين بين من أنحاء العالم كافة"^(١١).

(١٠) ينظر: أيمن شرف، إدوارد سعيد .. الغائب عن مكانه حياً، وميتاً، إسلام أون لاين.

(١١) صادق جلال العظم، العالم كله خسره، المستقبل، ٢٦ أيلول ٢٠٠٣م،

تحدث إدوارد سعيد العربية والإنجليزية والفرنسية بطلاقة، وكانت معظم

كتاباتة بالإنجليزية، وألم بالإسبانية والألمانية والإيطالية واللاتينية.

ألقى محاضرات وندوات في أكثر من مائتي جامعة في أنحاء العالم،

وكان واحداً من ثمانية أساتذة يحملون لقب "بروفيسور الجامعة" في جامعة

كولومبيا وهو أعلى لقب لأستاذ جامعي^(١٢).

وقد كان من أسباب بروزه شهرة الجامعة التي عمل بها، جامعة

كولومبيا، وكان له مشاركاته وحضوره المتميز بإلقاء محاضرات عدة في عدد

من الجامعات العالمية، وكان له مشاركاته الإعلامية المتعددة من أبرزها الحلقات

الفكرية التي ألقاها في برامج الإذاعة البريطانية في برنامج: محاضرات ريث،

بدءاً من عام ١٩٩٦م، تلك المحاضرات التي تحدث عنها باعتزاز^(١٣).

كانت هزيمة العرب في ١٩٦٧م وغزو إسرائيل لما تبقى من فلسطين

صدمة عميقة لسعيد وفي ذلك يقول: "دفعنتني صدمة الحرب إلى نقطة البداية إلى

الصراع على فلسطين. فدخلت من ثم إلى المشهد الشرق أوسطي المتحول حديثاً

بوصفي جزءاً من الحركة الوطنية الفلسطينية التي انبثقت في عمان ومنها انتقلت

إلى بيروت في أواخر الستينات على امتداد السبعينيات كانت تلك تجربة تغذت

(١٢) مريد البرغوتي، إدوارد سعيد: صوت التفكير المستقل، مرجع سابق.

(١٣) إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م،

من ذلك الجانب المضطرب والمحتجب من حياتي السابقة، وأعني نزعتي المعادية للسلطوية وحاجتي إلى كسر الصمت المفروض قسراً^(١٤).

خرج بعدها من إसार الهيمنة المهنية للأكاديمي المتخصص في النقد الأدبي المقارن - الذي كان أستاذاً فيه في الجامعات الأمريكية الكبرى - إلى النقد الثقافي والدراسات الحضارية، تعمق في دراسة المفكرين الأوروبيين ومفكري العالم الثالث، حاورهم وناقش نظرياتهم وشذبتها وأضاف إليها رصيداً نادراً من العمق الثقافي والحفر المعرفي والرؤيا الضابطة ليصوغ مشروعاً الرائد الاستشراق ١٩٧٨م ويلحقه بالثقافة والإمبريالية ١٩٩٣م الذي يتابع فيه السرديات الكبرى^(١٥).

تميز سعيد بسعة الأفق والعقلية النقدية المتوقدة، خاض معركة الحضور الثقافي وقدم نموذجاً ومثلاً جديداً للفلسطيني والعربي المتعولم ثقافياً دون أن يغير جلده وهويته وعنصره ولسانه وانتمائيه، تغلغل في روح عصره وعاش ومضى كما يليق بمفكر كبير ومبدع أصيل خلاق، ومناضل عنيد وشجاع غير هيباب، شكلت كتاباته وإبداعاته وجهوده الفكرية والنظرية والفلسفية والنقدية ثورة معرفية في الثقافة العربية الجديدة^(١٦).

(١٤) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٣٥٦.

(١٥) ماهر جرار، الفلسطيني الذي فجر الهويات، www.thenationpress.

(١٦) ينظر: شاكر فريد حسن، البروفيسور إدوارد سعيد في ذكرى غيابه،

كان مخلصاً لقضية هو مؤمن بها، وظل على إيمانه حتى اللحظات الأخيرة من حياته. لم ترهقه اللوكيميا ولم تفت في عضده الأصوات الرافضة في أمريكا حول تفكيك بنية الغرب الفكرية تجاه الشرق^(١٧).

اتصف إدوارد سعيد بتعدد اهتماماته وثقافته الواسعة والشمولية، وكان مواكباً ومتابعاً للأحداث والقضايا اليومية، ومعلقاً فطناً، ومحاضراً لبقاً، ومتحدثاً أسراً عميقاً ومؤثراً سابحاً ضد التيار، عارضاً للفكرة الصائبة والموقف السديد، باحثاً عن الحقيقة، اتسعت اهتماماته لتشمل الأدب المقارن والفلسفة والسياسة والموسيقى، وانشغل بالنقد الأدبي والبحث الأكاديمي العلمي، وكان بمثابة مؤسسة إعلامية وثقافية على حد سواء^(١٨).

كان له السبق في الدفاع عن القضية الفلسطينية وإبرازها عالمياً بكتاباته المنافحة عن حقوق الفلسطينيين في المحافل الدولية.

ويمتدح صادق جلال العظم إدوارد سعيد مبرزاً دوره المتميز في الدفاع عن القضية الفلسطينية قائلاً: "كان إدوارد سعيد هو من وضع في مرحلة الستينات القضية الفلسطينية على الخارطة في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وهو الذي أدخلها في صلب وعي تلك المرحلة التي كانت مرحلة الانتفاضة، حتى داخل أمريكا نفسها، على المؤسسة الحاكمة التي كانت تشن حرباً على بلد فيتنام، فكان له دور هائل في طرح القضية الفلسطينية بضوء جديد

(١٧) ينظر: جمال الغيطاني. www.almustagble.com

(١٨) شاكر فريد حسن، إدوارد سعيد في ذكرى غيابه، مرجع سابق.

وفي كسب معايير متنوعة ومختلفة، ووقتذاك تمكن من كسب الرأي العام المتمرد اليساري الناقم إلى جانب القضية الفلسطينية وما يتبعها من قضايا التحرر وحقوق الإنسان في العالم أجمع^(١٩).

كان إدوارد سعيد صوت العرب الحر، وقلب فلسطين النابض، يحاور ويحاضر ويدافع بشراسة عن قضايا الأمة العربية المصيرية والتحريرية في الندوات والأجندة العالمية والأمريكية، امتاز بالشجاعة والجرأة الفائقة في حواراته وأطروحاته ومواقفه الفكرية والسياسية والفلسفية والنقدية، وتجاوزه لعقده خنوع المنقذ واستسلامه وتهافته، بخلاف نهج ومسلك المتقنين العرب في المهاجر والمنافي^(٢٠). وينقم على الأمريكيين العرب انشغالهم بتجارته وتجاهلهم للقضية الفلسطينية فيقول في معرض حديثه عن احتفالاتهم: "صرنا أنا وأبي نرتاد تلك الحفلات معاً دون الآخرين وأنا أذهب إليها على مضض، لأنني أجد العرب الأمريكيين الكبار في السن غارقين في عالمهم التجاري الذي يدور على بيع السجاد والبقالة والأثاث. كانوا كائنات غريبة، أشبه بشخصيات طالعة من روايات جوناثان سويفت، يملكون بيوتاً صيفية في بوكوتوس، ويلهجون بعربية مكسرة من أيام العشرينيات ويفتعلون الوطنية الأمريكية افتعالاً وتتردد عبارة "أنكل سام" بانتظام في أحاديثهم، ويتكلمون عن "الخطر الشيوعي" أكثر

(١٩) صادق جلال العظم، العالم كله خسره ، مرجع سابق.

(٢٠) ينظر: شاكر فريد حسن، إدوارد سعيد في ذكرى غيابه، مرجع سابق..

بكثير من كلامهم عن خطر إسرائيل^(٢١). ويؤكد إدوارد الخراط مكانة إدوارد سعيد العلمية والسياسية في نضاله عن حقوق الفلسطينيين فيقول: لاشك أنه كان يمثل ريادة كبيرة في ميدان النظرية النقدية الأدبية كما اتضح في كتابيه الشهيرين (بدايات) و (الاستشراق)، ولكن مكانته في النقد تضارعا في تصوري مكانته كمحلل سياسي ومناضل وطني من الطراز الأول. فهو النموذج الحي لما نسميه المثقف العضوي الذي يرتبط بقضايا مجتمعه ووطنه وعالمه ارتباطاً وثيقاً لا يمكن الفصل فيه بين الخاص والعام، وأتصور أن مقالاته في التعريف بالقضية الفلسطينية للرأي العام الغربي نموذج مثالي لما يجب أن يقوم به مثقفونا في هذا المجال، فضلاً عن شجاعته وأمانته المطلقة في تحليل الوضع الفلسطيني والدفاع عن موقفه من السلطة الفلسطينية، ومن أوسلو وما تبعها جنباً إلى جنب، كان يقف موقفاً صلباً من كل التنازلات دون أن يفقد الإحساس الواقعي في تناول القضايا وكشف أوجه الفساد والقصور^(٢٢).

وقد تميز بشجاعته العلمية في مواجهة القوى السياسية المتسلطة، فقد كانت السمة الأبرز في نتاجه العلمي هي مواجهة الانتهازيين والمرترقة، فقد عمل على أن يضع الأخلاق في مواجهة القوة وهو شيء بالغ الصعوبة في عالمنا المحكوم بالقوة، كان يشدد على استحالة تحقيق نصر حقيقي من دون دعامة أخلاقية. وهذه الصفة كانت بارزة في مختلف أعماله سواء الأكاديمية أو

(٢١) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٢٩٥.

(٢٢) ينظر: إدوارد الخراط، ريادة نظرية ونقدية www.almustagbal

حتى النضالية السياسية. ويظهر ذلك سواء في كتاباته النقدية وبخاصة الثقافة والإمبريالية أو في أعماله السياسية المباشرة خصوصاً نقده لأوسلو والسلطة الفلسطينية حيث كان هاجسه الدائم البحث عن العدالة في ما يُكتب أو يُفعل^(٢٣).

تميز بذاكرة قوية في سرده لأدق التفاصيل في عرض الأحداث ووصف الأشخاص الذين التقى بهم منذ نعومة أظافره بصورة مذهلة، وهذا مما يدل على قوة ذاكرته، فلقد كانت قوة ذاكرته من أسباب تميزه العلمي والفكري واستحضاره لذكرياته وسردها، وهذا ما يؤكد بقوله: "وكانت ملكتي الأقوى هي ذاكرتي التي سمحت لي بأن أستعيد بصرياً مقاطع كاملة من كتب، وأن أتصورها كما وردت في الصفحة ذاتها، ثم أروح أتلاعب بالمشاهد والشخصيات واهباً إياها حياة متخيلة تتجاوز صفحات الكتاب. فاخترت لحظات من غبطة الاستذكار تسمح لي بأن أتجاوز بحراً من التفاصيل"^(٢٤).

وقد كان معتزاً بقدراته الشخصية وملكاته الخاصة والتي ينسب إليها أسباب تفوقه فيقول: "كنت أنسج تلك العلاقات، وأعيد نسجها في ذهني، سُداها سطح الواقع المبتذل، ولكن لُحمتها مستوى أعمق من الإدراك لحياة أخرى مليئة بعناصر جميلة مترابطة - شذرات أقطار مقاطع أدبية، مقطوعة موسيقية، نبذات تاريخية، ذكريات شخصية، وملاحظات يومية، تتغذى لا من "إدوارد" الذي يُسهم في إنتاجه أهلي والمعلمون والملهمون الفكريون، وإنما تتغذى من ذاتي الجوانية

(٢٣) ينظر: سماح إدريس، مثالية التوجه الإنساني، www.almustagbal

(٢٤) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩١) رجب ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق
الأقل طواعية ذاتي السرية التي تستطيع أن تقرأ وأن تفكر بل أن تكتب باستقلال
عن "إدوارد" (٢٥).

ولم يفقد ثقته بنفسه مع كثرة الإخفاقات في بداية حياته، ولكنه كان يعي
بأن لديه قدرات خارقة لم يكشفها بعد، أو لم يحن الوقت لإظهارها، وهذا ما
وافقته والدته عليه عندما ذكر لها ذلك الإحساس في قوله عن حديث دار بينه
وبين أمه : "ذات مرة اعترفتُ لها بأنني موهوباً وخارقاً معاً، على الرغم
من سلسلة مضحكة من الإخفاقات والمشكلات اللامتناهية التي أقع فيها في
المدرسة وفي سائر الأمكنة، تبرعت بذلك الاعتراف بوجل شديد للتأكيد على
وجود عزيمة أخرى، بل ربما شخصية أخرى كامنة تحت "إدوارد" "أنا أعلم ذلك"
قالت لي برفق، في بوح خفيض هو الأشد سرية وتطميناً" (٢٦).

بدأ نبوغه وتميزه العلمي بين زملائه في الدراسة بعد فترة قصيرة من
التحاقه بالدراسة في المدرسة الأمريكية، واستطاع أن يحول ساعات وحدته إلى
عطاء وإنجاز فيقول: "وفوجئت في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر بأنني أدهش
زملائي في الصف بإنجازاتي الفكرية. لست أدري إلى اليوم لماذا وكيف أحسنتُ
الأداء. ولا سيما أنني خالفت نصيحة أمي بأن لا أكون حزيناً أو وحيداً فكنتهما
معاً" (٢٧).

(٢٥) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

(٢٦) خارج المكان، المرجع نفسه ص ٢٩٠.

(٢٧) خارج المكان ، المرجع نفسه، ص ٢٩٠.

يتحدث عن تفوقه بين أقرانه في المدرسة يقول: "ولما كنت معروفاً بأني حاضر البديهة ومتورطاً عادة في مشكل ما، إلى كوني تلميذاً ناجحاً، فقد كنت أجد نفسي، أيام الامتحانات، محاطاً دورياً ببعض من عمالقة "رحلات غوليفر" هؤلاء يسلّمونني أوراق امتحاناتهم في اللغة الإنجليزية لأكتبها نيابة عنهم" (٢٨).

وقد عول كثيراً في نجاحه على اجتهاده الشخصي أكثر من البرامج الدراسية، وقد أبدى تنمره من طريقة التدريس في هارفارد نافياً أن يكون لتلك الدراسة النظامية أي تأثير في مسيرته الفكرية فيقول: "كانت سنواتي الخمس ١٩٥٨-١٩٦٣ م كطالب دراسات عليا في الأدب في جامعة هارفارد استمراراً فكرياً لبرنستون في ما يتعلق بالدراسة الرسمية، وكان يسيطر على أساتذة الأدب تعليم التاريخ التقليدي والشكلية الباهتة.. وأذكر ساعات وأياماً وأسابيع كنت خلالها أقرأ بنهم دون أن ألقى أي أثر لقراءاتي في ما يحاضر عنه الأساتذة أو ما يتوقعونه من جمع من الطلاب مستكينين عموماً. لم يكن من غضن واحد على سطح ذلك الهمود الطلابي، ربما لأنه في غياب أية قوة فكرية تحفز جهودنا كنا نشعر جميعنا بأننا في غير مكاننا وأنا على قلق في تلك المؤسسة، فقد حققت اكتشافاتي الفكرية خارج نطاق البرنامج الدراسي المطلوب بمعية طلاب أصيلين وموهوبين زاملوني أيضاً في هارفارد" (٢٩).

(٢٨) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٢٥٩.

(٢٩) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٣٥٢.

شدّد أكثر من أستاذ من مدرسيه على ما يتميز به من ذكاء، وما كانوا يعيبون عليه إلا ضعف التركيز وعدم رغبته في بذل أفضل ما لديه وخصوصاً في مراحل العملية الأولى^(٣٠).

ومع عدم تكيفه اجتماعياً مع الأنشطة المدرسية إلا أنه ظهر تميزه العلمي وحدة ذكائه فكما يقول : "خلال أسابيعي الأخيرة في هيرمون فكرت أنه على الرغم من تميزي في نشاطاتي كافة ظللت صبيّاً شاذّاً منبوذاً. فقد نلت رسائل التنويه وكسبت مباريات هامة في السباحة والتنس ولمعت في أدائي الأكاديمي، وتميزت عازفاً للبيانو، ومع ذلك بدوت عاجزاً عن تحقيق المنزلة المعنوية - لست أجد عبارة أخرى لوصف الأمر - التي يمكن للاستحسان المدرسي العام وحده منحي إياها. كنت ولداً حاد الذهن له ماض غير عادي، ولكني لم أكن جزءاً من حياة المدرسة المشتركة. كان ينقصني شيء ما. شيء اكتشفت فيما بعد أنه يُسمى "الموقف السوي"^(٣١).

بدأ في أمريكا يتعرف من جديد على إمكاناته وقدراته بعد هجرته إليها ويتغلب على الإحساس بالغربة بالعمل الجاد والإنجاز فيقول: "وإنني ما أزال أدهش إلى الآن من مجرد خطورة المغامرة التي انطوى عليها قدومي إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥١م. لست أملك إلا فكرة غامضة جداً عما كانت ستؤول إليه حياتي لو أنني لم أجيء إلى أمريكا. ولكن الذي أعرفه أنني بدأت

(٣٠) ينظر: المرجع نفسه، ص ٢١٧.

(٣١) المرجع نفسه، ص ٣٠٤.

فيها بداية جديدة متناسياً إلى حد ما ما تعلمته من قبل لأعيد تعلم الأشياء ابتداءً من الصفر، مبتكراً، مخترعاً ذاتي أحاول وأفشل أختبر وألغي ما اختبرته لأعاود البدء من جديد سالكاً سبلاً مبالغته هي في الغالب أعسر السبل قاطبة" (٣٢) .

يتحدث عن أيام البعد عن الأهل والتي يسميها المنفى، وهو مازال في مقتبل العمر، وما واجهه من ويلات ومآسي ذلك المنفى والفراق، نزولاً عند رغبة والده والذي كان يصر على معيشة ابنه بعيداً عنه في أمريكا خلافاً لوالدته التي آلمها كثيراً بعده عنها، وكيف تغلب على مشاعر الأسى والفراق، وبدأ يخط حياته من جديد في منفاه الجديد، ذلك المنفى الذي كان سبباً من أسباب نجاحه وإبداعه (٣٣).

ومع ما قدمه له والده من دعم مادي ومعنوي وصلت في بعض مراحلها إلى صور قسوة الأب الحريص على مستقبل ابنه الوحيد، ومع ذلك عمل على أن يشق طريقه بنفسه ويشير إلى ذلك في رحلته إلى أمريكا سائراً على خطى والده إذ يقول : "جاء ليشق طريقه في الحياة، وجئت أنا لألعب الدور الذي رسمه لي، إلى أن تحررت من الدور المرسوم وبدأت أحاول أن أعيش الدور الذي رسمته لنفسه" (٣٤).

(٣٢) خارج المكان، مرجع سابق ص ٢٧٦.

(٣٣) ينظر: المرجع نفسه ، ص ٢٨٢.

(٣٤) المرجع نفسه، ص ٣١.

تميز بحرصه على استغلال وقته فيما يفيد وإحساسه الدائم بقيمة الوقت، ويصف ذلك الشعور بقوله: "إذا يخيّل إليّ أن الوقت يعاندني على الدوام، وباستثناء فترة وجيزة في الصباح أطلع فيها إلى النهار الضاح بالاحتمالات، أجدني محشوراً حشراً بجداول الأعمال والمهمات الروتينية والتكليفات، وما من لحظة للتمتع بوقت فراغ أو لمجرد التأمل" (٣٥).

بل ولم تصرفه التهديدات بالقتل عن الاهتمام بوقته وأداء عمله، فحين يسأله "بارسيمان": كيف يتعامل مع قضية تهديده بالقتل؟ يجيب "لا أفكر بالأمر كثيراً ... إذا تابعت التفكير في أي مشكلة من ذلك النوع فإن الأسوأ يكون قد حصل عن طريق جعلك عاجزاً عن العمل.. إنه لأصعب على أولئك الناس مما هو عليك .. أعتقد أن الأمر الأساسي هو أن تستمر في طريقك وتذكر أن ماتفعله وتقله يعني أكثر بكثير من مسألة كوميك أمنا أم لا" (٣٦).

ويصف اهتمامه بالوقت قائلاً: "على أن ساعتني لم تتفك تثير دهشتني بحركاتها المندفعة إلى أمام من غير مقاومة. وهذا مازاد، بأشكال مختلفة من شعوري بأنني متأخر عن مواعيدي ومقصر عن واجباتي والتزاماتي. لست أذكر أنني كنت نوماً بأي حال، ولكنني لن أنسى دقة مواعيد الاستيقاظ في الصباح

(٣٥) المرجع نفسه، ص ١٤١.

(٣٦) إدوارد سعيد، القلم والسيوف، حوارات مع دافيد بارسيمان، ترجمة: توفيق الأسدي، دار كنعان للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٨٨ م، ص ٩.

الباكر وذلك الشعور المباشر بالإلحاح القلق ينتابني لحظة مغادرة السرير. فلا وقت لتضييع الوقت أو التكاسل^(٣٧).

ومع إدراكه لخطورة المرض الذي ألم به لم يستسلم للحزن ولم يتوقف عن العمل والعطاء، يستمر في عمله كشخص لم يتعرف في حياته كلها على الكسل، وعندما تباغته تقارير أطبائه بالنبأ الصاعق يضعها جانباً ويقاوم آلامه بتكثيف نشاطه واستثمار كل ساعة من العمر في الكتابة وفي خوض معاركه الفكرية بحماس أشد، كان لا يحب الإقامة في المراثي، ولا يسمح للحزن أن يشل طاقته، كان يرثي أعز أصدقائه يسافر أحياناً آلاف الأميال للمشي في جنازاتهم، ثم يحتفظ بهم في قلبه ويواصل عمله في كل كتاباته عن الفلسطينيين حتى ولو كان يكتب عن الخسارات أو المجازر أو الخذلان الغربي والعربي، تجنب إدوارد سعيد السقوط في فخ إثارة الشفقة أو رثاء الذات واستدرار العطف^(٣٨).

خاض إدوارد سعيد معارك بدنية عدة مع أقرانه في المدرسة الأمريكية أظهرت نفسيته الثائرة والمقاومة للنزعات الاستعمارية، والمعتز بقدراته لا يلجأ إلى الخضوع والاستسلام مهما كانت التضحيات^(٣٩).

كان يجد في كتابة مذكراته أمتع الأوقات، جاعلاً الكتابة أمتع إليه من النوم والتسلية والراحة، ويعبر عن ذلك بقوله: "الواقع أنني أحسب أن محور هذا

(٣٧) خارج المكان، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٣٨) ينظر: مريد البرغوثي، إدوارد سعيد، صوت التفكير المستقل، مرجع سابق.

(٣٩) ينظر: خارج المكان، مرجع سابق، ص ١٢٣-١٢٤.

الكتاب هو الأرق وأن موضوعه الرئيسي هو اليقظة، أي: حاجتي إلى الاستذكار الصاحي وإلى التعبير وهما عندي البديل من النوم، لا، ليس بديلاً من النوم وحده، بل من العطل والاستراحات وكل ما هو في عرف الطبقات الوسطى والغنية ضربٌ من ضروب "التسلية"، وقد أدت لها ظهري بطريقة لا واعية منذ حوالي عشر سنوات^(٤٠).

عمل على استغلال وقته وتحويل لحظات الأرق التي تمر به إلى عطاء وعمل فيقول: "إن الأرق عندي حالة مباركة أرغب إليها بأي ثمن تقريباً فليس عندي ما هو أكثر تنشيطاً من أن أطرده عني فوراً ظلال الوسن لليلة خسرتها غير إعادة تعريف في الصباح الباكر على ما كدت أخسره كلياً قبل بضع ساعات أو استعادتني إياه الحين والآخر أرى إلى نفسي كتلة من التيارات المتدفقة"^(٤١).

تميز بجديته واستغلال وقته في المفيد حتى في فترات مرضه وفي أوقات سفره فيقول: "تجرفني فترات العلاج والإقامات في المستشفيات والألم الجسدي والكرْبُ الذهني، وتتحكم بكيفية الكتابة وموعدها ودوامها ومكانها. وكانت فترات السفر في الغالب فترات منتجة، لاسيما أنني كنت متأبطاً مخطوطتي. المكتوبة بخط اليد، أنى ذهبتُ مستغلاً كل غرفة فندق أو منزل صديق أنزل فيه لأكتب"^(٤٢).

(٤٠) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٢٧٠.

(٤١) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٣٥٨.

(٤٢) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٢٦٩.

كان شديد الولع بالقراءة الحرة خارج المناهج الدراسية، ومع ضغط وقت الدراسة لم يكن يجد وقتاً لممارسة تلك الهواية، ووجد فرصة مواتية لتلك الهواية في فترات إجازات الصيف التي تقضيها عائلته في الضهور في لبنان وفي ذلك يقول : "وقد نَقَبْتُ عن الكتب أيضاً في منازل أقارب أمي، وسُمِح لي لاحقاً بأن أشتريها من بيروت. فقد دفعتني الضهور إلى التوغل في عالم المطبوعات. وبسبب حرمانني من وقت للقراءة في القاهرة، صارت المطالعة استراحة ثمينة من الفراغ الذي لا قرار له لحياتي فيها"^(٤٣).

يصف حبة للقراءة في فترة دراسته في جامعة برنستون فيقول: "كان انغماسي في القراءة والكتابة بمثابة الترياق ضد مناخ برنستون الاجتماعي المسموم. لم أخصص في الآداب وإنما في الإنسانيات، وهو برنامج للحاصلين على درجة الامتياز أتاح لي أن آخذ عدة دروس في الموسيقى والفلسفة واللغة الفرنسية كما الإنجليزية، مرتبة جميعها حسب المساق الزمني تعج بالمعلومات وقد أثارتي أيما إثارة لما وفرته من مواد للقراءة"^(٤٤).

انصفت شخصيته بالتمرد على الممنوعات والمحرمات عليه بالفضول نحو البشر والأشياء، ويصف تلك الحالة بقوله : "وكان الحكم الصادر عليّ باستمرار هو "الفضول مثال" على أنني كنتُ بذلك أسعى للانعتاق من الأقفاس المختلفة التي حُبست فيها، وهو ما أورثني شعوراً دائماً بالتزمر، إلى أن صرت

(٤٣) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ١٩٤.

(٤٤) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٣٣٧-٣٣٨.

أجذني كريها إلى حد كبير. ولما كنت مجبراً على أداء فروضي المدرسية وممارسة الألعاب الرياضية ككرة القدم مثلاً - وقد سجلتُ فيها إخفاقات مدوية .. ومجبراً على أن أكون في الآن ذاته الابن والشقيق المطيع والمتّم لواجباته الدينية، فقد بدأت أستمّد لذة سرية من ممارسة (أقول) كل من شأنه مخالفة القواعد أو تجاوز الحدود التي يفرضها أهلي^(٤٥).

كان سريع الإحساس بالملل من ممارسة واجباته المدرسية أو الالتزام بأنظمة المدرسة، بل كان يشعر بالملل من أوقات المرح والفسحة وفي ممارسة بعض الألعاب، وحتى أوقات الإجازة التي يقضيها والده في لبنان كان سريع الملل منها^(٤٦).

وبهذا نرى كيف كان لشخصية إدوارد سعيد المكافحة وهمته العالية وما تميز به من قدرات ذهنية عالية من أثر في تكوين شخصيته العلمية، وقد اجتمعت عوامل ومؤثرات اجتماعية وفكرية أخرى بجانب ما تميزت به شخصيته كان لها بالغ الأثر في مسيرته، نلقي الضوء على أبرز تلك المؤثرات في الفصل الآتي.

(٤٥) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٥٨.

(٤٦) ينظر خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٢١٦.

الفصل الثاني

المؤثرات الاجتماعية والفكرية في حياة إدوارد سعيد

ساهمت مجموعة من المؤثرات الاجتماعية والفكرية في مسيرة حياة إدوارد سعيد، كانت أسرته ومحيطه العائلي وحياته في المنفى خارج بلده الأول وقراراته العلمية والفكرية كل تلك العوامل كان لها الأثر البارز في تكوين شخصيته .

أولاً: التأثيرات الأسرية في حياة سعيد:

مر سعيد بمؤثرات عدة كان لها بالغ الأثر في بناء شخصيته وفي تكوينه الفكري، ولعل أول تلك المؤثرات أسرته ممثلة في والده ووالدته وأخواته وعمته نبيهة، والتربية الأسرية والمحيط العائلي بما تميزت به تلك الأسرة من الود والألفة والتكاتف والتضحيات، وما تميزت به من النأي بأفرادها عن المغريات وأسباب الانحرافات الأخلاقية بطبيعتها العربية المحافظة وبتربيتها الكنسية المتمسكة ببعض الأخلاقيات النبيلة.

أثر والده في مسيرة حياته:

ويبرز تأثير والده في حياته جلياً، فمع ما كان يذكره من تـذمره من أسلوب تربية والده وطابع الصرامة في تربيته إلا إنه كان يؤكد في أكثر من موطن في مذكراته على الأثر الإيجابي لتربية والده، ويصف تربية والده بين

الصرامة والحزم والعاطفة والبذل المتناهي فيقول : "مَزَجَ أبي في شخصه القسوة والصمت المطبق والعاطفة العجيبة يربط بينها جميعها كرم مفاجئ" (٤٧).

ويواصل وصفه لتربية والده الصارمة وأثرها في صرفه عن المغريات وكيف منعته تلك التربية المنضبطة عن إغراءات القاهرة الجسدية والمعنوية كما يصفها بقوله: "قلم أخرج مرة مع فتاة، بل لم يسمح لي بأن أزور أماكن اللهو العامة أو المطاعم ناهيك عن ارتيادها" (٤٨).

وقد تأثر إيجاباً بتربية والده الجادة، واكتسب منه بعض الصفات الإيجابية دون أن يفقد شخصيته الذاتية، وفي ذلك يقول : "مهما تكن الوقائع التاريخية الفعلية يبقى أن أبي كان مزيجاً طاعياً من القوة والسلطان ومن الانضباط العقلاني والعواطف المكتومة. وقد أدركتُ لاحقاً أن هذه جميعاً قد طبعت حياتي ببعض الآثار الإيجابية ولكنها لم تعفني من الكوابح والمعوقات. ومع تقدمي في العمر توصلتُ إلى تحقيق التوازن بينها، على أنني عشتُ محكوماً بها من الطفولة حتى سن العشرين فقد بنى لنا أبي، بمساعدة أمي، عالماً كان أشبه بشرنقة جبارة أدخلتُ إليها وحُيِّسْتُ فيها بكلفة باهظة، أو هكذا أرى الآن إلى تلك التجربة إذا استعيذُها بعد نصف قرن. وما يثير دهشتي الآن إضافة إلى صمودي هو نجاحي بطريقة ما، خلال أداء عقوبتي داخل ذلك النظام في أن أربط بين مصادر القوة الكامنة في تعاليم أبي الأساسية وبين قدراتي الشخصية التي عجز هو عن التأثير فيها وربما عجز أيضاً عن إدراكها. ولسوء الحظ فقد أورتني أيضاً إصراره الذي

(٤٧) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٥٤.

(٤٨) ينظر خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٥٤.

لا يكل على أداء العمل المفيد وإنجاز ما يجب إنجازه "توّن أن يستسلم أبداً" وذلك على نحو دائم تقريباً فأنا لا أعرف معنى للترفيه أو الاسترخاء" (٤٩).

وفي معرض إعجابه بشخصية والده يسرد ما تعرضت له تجارة والده من نكسة بعد أعمال التخريب التي طالتها من متظاهرين في شوارع القاهرة أتوا على معظم تجارته، وكيف وقف والده بشجاعة في مواجهة تلك الأزمة والتي زاد من حدتها تخلي شركائه عنه وانسحابهم من المؤسسة فيقول: "وأفادت أمي بحزن أن عمتي وأبناءها أعربوا لأبي في تلك الأثناء بالذات عن رغبتهم في الانفصال عن الشركة. فجمع كل موارده المالية (لم أفهم حقاً من أين) واشترى حصتهم فصار المسؤول الوحيد عن مؤسسة منكوبة تماماً. كذلك نقلت أمي قوله للمدير العجوز: "حسناً لا مباس، فلنشمر عن سواعدنا" وقد علقت هذه العبارة في رأسي أكثر من ست وأربعين سنة - "ولنبداً من جديد" (٥٠).

ويستطرد واصفاً قوة عزيمة والده ورباطة جأشه وتغلبه على ما حاصل له من نكبة بخسارة كل ما يملك فيقول: "لا أزال أندesh من نهوضه من كبوته، بما يفوق طاقة البشر، لم أسمع مرة يتحدث بندم عن أيام ما قبل الحريق، أو عن المبالغ التي خسرها، أو عن الكارثة التي ألمت به وظلت رسائله المرفقة على الآلة الكاتبة تصلني مرتين في الشهر في مواعدها المحدد تماماً، كأن شيئاً لم يكن" (٥١).

(٤٩) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٣٥.

(٥٠) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٢٩٩.

(٥١) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٣٠٠.

ويظهر مدى تعلقه الحميم بوالده ومدى تأثره وإعجابه بشخصيته، يظهر ذلك جلياً في معرض حديثه عن مرض والده قائلاً: "في عام ١٩٤٢ وعام ١٩٤٨ أم ألقني مرض أبي، ولكنني لحسن الحظ لم أكن مدركاً لمدى خطورته إلا جزئياً. كنت جاهلاً بحقائق الموت، بل بحقائق الأمراض الجسدية المطولة والمعوقة خلال تلك الحادثتين السابقتين، أذكر أنني كنتُ أراقب أبي على مسافة وقائية قلقاً ولكنني منعزل. وأما الآن فكنت أستطيع في سلسلة من الومضات المتخيلة أن أشاهد جسده يتعرض لاجتياح الخلايا الخبيثة المقيت تأكل أعضائه تدريجياً ويمزق المرض المخيف بل اللوخم نخاعه وعينه وأذنيه وحجرته. فكان الدعائم المشيدة بعناية والتي تدعم حياتي وتغذيها تتهاوى فجأة وتتركني في فراغ مظلم. فتملكني إحساس بأن صلتي البدنية المباشرة بأبي يتهدها خطر الانصرام الكامل، وهو ما يتركني بلا حماية ولا مناعة على الرغم من كرهى أغلب الأحيان لحضوره المتطلب. ما مصيري في غيابه؟ وماذا سيحل محل ذلك الركب من القوة الواثقة والإرادة التي لا تقهر الذي صرت متعلقاً به طريقه لا عودة عنها، وقد أدركت أنني أتغذى منه بطريقة لا واعية"^(٥٢).

ومن خلال ما سرده سعيد في مذكراته من علاقته بوالده يتبين مدى الأثر الإيجابي لتربية والده في بناء شخصيته وفي تكوينه الفكري، فقد كان والده مثلاً له في قوة العزيمة ورباطة الجأش والمثابرة والصبر على النكبات والصعوبات التي مرت به.

(٥٢) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٣١٦.

أثر والدته في مسيرة حياته:

وممن كان له تأثير كبير في مسيرة حياته والدته، والتي تميزت علاقته بها بالحميمية، وكانت الملجأ الدافئ والمتفلس الوحيد في أسرته الذي يبت له همومه، ويصف جانباً من تلك العلاقة قائلاً: "وأجمل ذكرياتي عن سنوات "إعدادية الجزيرة" هي نهاية اليوم الدراسي عندما أجد أمي دائماً في انتظاري لتجاذب أطراف الحديث فيما هي تغلف ما تبقى من نهاري بتفسير لكل ما قد حدث" (٥٣).

ويصف مدى دعم والدته له نفسياً قائلاً: "كانت أمي تبت في عذوبة سائغة وشعوراً بالدعم يقوي من عزيمتي، كنت أرى نفسي في عينيها كائناً مباركاً وكاملاً ورائعاً، إطرأ واحد منها عن نكائي المتفوق أو عن موهبتي الموسيقية أو عن وسامة ملامحي يشيلني شيئاً ويمنحني شعوراً ولو مؤقتاً بالانتماء إلى عالم خير واسع" (٥٤).

ويصف تواصله العاطفي مع والدته بقوله: "ظلت أمي تشكل مرجعاً لي معظم الأوقات وبطرائق لا أعياها تمام الوعي ولا أفهمها على نحو محدد. وفي صيف ١٩٥٨م بينما كنت أقود سيارتي في سويسرا اصطدمت اصطداماً وجاهياً دموياً مربعاً بسائق دراجة نارية، فقتل السائق وتأذيت أنا كثيراً .. دفعتني غريزة لا تخطئ إلى أن أخبر أمي التي صدف وجودها آنذاك في لبنان مع سائر أفراد العائلة. كانت أول إنسان شعرت بالحاجة إلى أن أقص عليها قصتي .. ذلك أن

(٥٣) خارج المكان، المرجع السابق، ص ٧٣.

(٥٤) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٧٣.

شعوري بأنني أبدأ حياتي بأمي وبها أنهيتها وبحضورها الداعم وبطاققتها غير المحدودة على تدليلي كانت بمثابة الضمان الرفيق والخفي لحياتي خلال سنوات وسنوات^(٥٥).

وما أكثر ما كان يسرد ذكرياته الجميلة مع والدته، وشوقه إليها في غربته، ومدى ما كانت مكالماتها ورسائلها تدفعه معنوياً وتنتشله من حالات الحزن التي مرت عليه في منفاه في أمريكا. أثر عمته نبيهة في موقفه من حقوق الفلسطينيين:

وممن كان له الأثر في حياته الفكرية عمته نبيهة، فقد عوضت تجاهل والده القضية الفلسطينية وكانت التي أشعلت فيه الاهتمام بقضية فلسطين بما تسرد له من قصص مأساة الفلسطينيين، وفي ذلك يقول: "عمتي نبيهة هي التي عصمتنا أكثر من أي كان عن نسيان مأساة فلسطين .. وما يستعصي علي تفسيره الآن هو كيف اتفق أن مسألة فلسطين وخسارتها الفاجعة، التي هيمنت على حياتنا أجيالاً، وأثرت عملياً في جميع معارفنا، محدثة تغييرات عميقة في عالمنا، تعرضت لقمع نسبي من قبل والدي"^(٥٦).

وفي موطن آخر يقول: "بفضل عمتي نبيهة أخبرت فلسطين أول الأمر تاريخاً وقضية من خلال الغضب والاستنكار اللذين أثارهما في عذاب اللاجئين هؤلاء "الآخرين" الذين أدخلتهم هي إلى حياتي وهي أيضاً أول من نقل إلي مشقات أن يكون المرء بلا وطن أو مكان يعود إليه محروماً من حماية سلطة، أو مؤسسات وطنية، عاجزاً عن أن يعطي ماضيه أي معنى غير الأسف المرير

(٥٥) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٣٥٥.

(٥٦) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ١٥٦.

العاجز، وعن أن يعطي أي معنى لحاضره غير الوقوف في الصف يومياً والبحث القلق عن العمل ومعاناة الفقر والجوع والمذلة. أحسست إحساساً حاداً جداً بكل هذا من خلال الاستماع إلى أحاديثها ومراقبة تنظيم عملها اليومي المحموم^(٥٧).

لقد أثرت أخبار الأحداث المأساوية والنكبات التي مر بها الشعب الفلسطيني في مسيرته وحياته، وفي ذلك يقول: "و حين كنت صبياً في الثانية عشرة والنصف في القاهرة غالباً ما كنت ألاحظ أمارات الحزن والحرمان على وجوه وفي حيوات أناس عرفتهم سابقاً بما هم أبناء الطبقة الوسطى العاديون في فلسطين .. وغالباً ما كانت عمتي نبيهة تتحدث بكآبة واستفطاع وهي تصف أحداث دير ياسين، نقلوا الفتيات عاريات إلى معسكر على ظهور الشاحنات"^(٥٨).

وقد طالت نكبة فلسطين جميع الأسر ومنها أسرة عمه بل ووالده والذي لم يُظهر ذلك أمام ابنه، بل حاول تناسي القضية تماماً، وهذا ما أثار استغراب واندعاش إدوارد سعيد والذي لم تمنح تلك الأخبار من ذاكرته ولازمته آثارها طوال حياته، وفي ذلك يقول: "لم تأت أُمي مرة على ذكر ما حل بهم جميعاً. ولا أنا سألت أبي عن الأمر لافتقاري إلى الأبجدية اللازمة لصياغة السؤال، مع أنني كنتُ أستشعر أن خطباً عظيماً قد حل، مرة واحدة شرح أبي الوضع الفلسطيني العام على طريقته التعميمية المميزة عندما لاحظ أن شبيّر وعائلته

(٥٧) خارج المكان، ص ١٥٨.

(٥٨) نهى بيومي، الخاص والعام وقلق الهوية، قراءة طباقية لسيرة إدوارد سعيد الذاتية،

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩١) رجب ١٤٣٣ هـ ٢٠١٣ م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق
"خسرا كل شيء" ثم أضاف بعد برهة "ونحن أيضاً خسرنا كل شيء" وإذا عبرت
له عن ارتباكها من قصده ما دامت أعماله ومنزله ونمط حياته في القاهرة لا
تبدو أنها تغيرت أجاب ببساطة "فلسطين" .. وكنت دائماً الدهشة أمام إدارته الظهر
للماضي على ذلك النحو الجلود والصارم^(٥٩).

وفي مقابل إعجابه بعمته نبهته التي نذرت نفسها لخدمة اللاجئين
الفلسطينيين في مصر، في مقابل ذلك الموقف المشرف لعمته ينتقد ذلك الموقف
السياسي العربي المتخاذل تجاه حقوق الفلسطينيين، والذي اكتفى بالتصريحات
الرنانة والبيانات الجوفاء، وفي ذلك يقول: "والحال أن العديد من أولئك اللاجئين
الفلسطينيين فقدوا صحتهم مع فقدهم وطنهم. وإذا المناخ المصري الجديد بدلاً من
أن يحتضنهم يزيد في استنزافهم حتى في وقت تعلن فيه الحكومات قبل الثورة
وبعدها، الدعم لفلسطين وتُقسم الأيمان الغليظة على إبادة العدو الصهيوني، ولا
تزال تطن في أذني البيانات الإذاعية وتترأى لي عناوين الصحف المتحدثة
بالعربية والفرنسية والإنكليزية، تذيع تلك الشعارات على جموع صماء أساساً.
في ذلك الحين، كانت التفاصيل والتعاسة المعيشة لشعب تائه مريض هي ما يثير
اهتمامي أكثر من أي شيء آخر. ولذلك كان العلاج الوحيد هو الالتزام الشخصي
ونمطاً من الاستقلالية الفكرية مكّنا امرأة منمنمة متوسطة العمر من أن تتاضل
ضد شتى العقبات دون أن تخور عزيمتها أو تفقد ثقّتها بالنفس"^(٦٠).

(٥٩) خارج المكان، مرجع سابق، ص ١٥٤-١٥٥.

(٦٠) خارج المكان، مرجع سابق، ص ١٦١.

وقد لازمته تلك الخلفية عن مأساة الفلسطينيين التي تكونت في ذاكرته بفضل عمته، لازمته تلك الخلفية عند انتقاله إلى أمريكا، وبدأ يتابع مواقف الساسة والمفكرين الأمريكيين من تلك القضية، وفي ذلك يقول: "كانت فلسطين تلوح كلمح البصر ثم تخفي سريعاً من حياتنا النيويوركية في ذلك الصيف، سمعتُ لأول مرة عن تأييد الرئيس ترومان للصهيونية حين كان أبي يقلب صفحات الجرائد ذات صباح في إسكس هاوس. منذ ذلك الوقت اكتسب اسم ترومان عندي طاقة تعويذية شريرة ما أزال استشعرها إلى الآن. ذلك أنني مثلي مثل جميع فلسطينيي الأجيال الثلاثة الأخيرة، ألومه على دوره الحاسم في تسليم فلسطين للصهاينة"^(٦١).

ولقد بقيت القضية الفلسطينية حاضرة في مخيلته مع محاولة والده صرف ذهنه عنها والتأقلم مع الحياة الأمريكية الجديدة باعتباره مواطناً أمريكياً، فقد كان يقاوم رغبة والده تلك ويحدد موقفه من الشخصيات الغربية المؤيدة للصهيونية بناء على دفاعه عن حقوق الفلسطينيين، فقد كان يعادي ويوالي من أجل بلده الأصل، وفي ذلك يقول: "ولقد أثارت إيلانور روزفلت استنكاراً لتأييدها الحماسي للدولة العبرية. وعلى الرغم من نزعتها الإنسانية التي كثيراً ما تباغت بها، بل روجت لها ترويجاً، فإنني لم أستطع أن أغفر لها عجزها عن توفير نُفَّة صغيرة من نزعتها الإنسانية للاجئين الفلسطينيين، ويصح الأمر ذاته على مارتن لوتر كينغ الذي حملتُ له إعجاباً حقيقياً، ولكنني لم أستطع أن أسبر

(٦١) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ١٨٢.

أغوار حرارة حماسه لانتصار إسرائيل في حرب حزيران ١٩٦٧م، ولم أغفر له" (٦٢).

ولقد كان دفاعه عن حقوق الفلسطينيين في نصرته الحق والدفاع عن حقوق المستضعفين في أي مكان، فمع دفاعه عن وطنه فلسطين، وما واجهه من مضايقات وتآليب اللوبي الصهيوني ضده نتيجة موقفه المدافع عن حقوق الفلسطينيين إلا أن مفهوم الوطن والانتماء لديه أكبر، فلم يحصر نفسه في مكان ضيق بل كان مهاجماً لكل القوميات والعرقيات منادياً بحقوق المستضعفين في كل مكان.

ويؤكد بأن رسالته الدفاع عن المظلومين حتى وإن كانوا يهوداً، وفي ذلك يقول: "وخلال الخمسة وثلاثين عاماً الماضية أنفقت شطراً كبيراً من حياتي مدافعاً عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، لكنني في الوقت ذاته لم أنس أبداً ما لاقاه الشعب اليهودي من معاناة وما تعرض له في الماضي من اضطهاد وإبادة، وليس من قبيل المصادفة أنني في "الاستشراق" قد أثبت ما بين النزعة الاستشراقية والعداء الحديث للسامية من جذور مشتركة. فكفاحنا من أجل إرساء المساواة في فلسطين / إسرائيل لا بد وأن يركز في المقام الأول على تحقيق هدف إنساني واحد: ألا وهو الوصول إلى التعايش والكف عن قمع الآخر ونفيه." (٦٣).

(٦٢) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ١٨٢-١٨٣.

(٦٣) إدوارد سعيد، الاستشراق الآن، ترجمة: حازم عزمي، مجلة فصول، ص ١٨٢.

وقد كان سعيد من أوائل مناصري السلام مع إسرائيل، ولكنه كان من أشد المعارضين لبنود الاتفاق التي اشتملت عليها اتفاقية أوسلو وما تضمنته من اشتراطات مهينة للفلسطينيين أملت إسرائيل ورعتها الولايات المتحدة، معاهدة وصفها سعيد بمعاهدة استسلام لا سلام^(٦٤).

وبهذا يتبين بداية اهتمامه بالقضية الفلسطينية ودور عمته نبيهة في إحياء الدفاع عن حقوق الفلسطينيين في حياة إدوارد سعيد، ويظهر من العرض السابق مدى الأثر الإيجابي البارز لأسرة سعيد في مسيرته العلمية.

ثانياً: المنفى والإحساس بالغربة وأثرها في حياته:

لقد كان شعور سعيد بالمنفى منعطفاً كبيراً في حياته، استطاع أن يحول ذلك الشعور إلى طاقة متدفقة تدعو إلى الإنجاز والنجاح وتدفع إلى العمل والإبداع، وكان استشعاره لتلك الحالة وخوض غمارها وآثارها يدفعه إلى مقاومة الظلم والطغيان والدفاع عن حقوق المظلومين بصوت عال، فقد عاش الغربة بكل تجلياتها، عاشها بخروجه عن وطنه ومسقط رأسه فلسطين، وعاشها في منزل والده من قسوة والده عليه أحياناً في تربيته مع أنه كان مغدقاً عليه مالياً، وذاق ألمها ومرارة العزلة في المدارس الإنجليزية والأمريكية التي التحق بها في مصر وأمريكا، وعانى من الشعور بالمنفى والغربة في مكان إقامته في أمريكا.

(٦٤) إدوارد سعيد، القلم والسيف، حوارات مع دافيد بارسيमान، مرجع سابق، ص ١٠.

يستعرض ذكرياته في المدارس الإنجليزية وما واجهه فيها من أنواع العقوبات الجسدية واللفظية المهينة، واصفاً تلك التجربة بأول مواجهاته للسلطات الاستعمارية، واصفاً حياته المدرسية القائمة على التمييز العرقي ويذكر جنسيات الأساتذة والطلاب في المدارس التي تلقى فيها تعليمه في القاهرة معرضاً للتمييز العرقي تجاه العرب قائلاً: "يفترض بالأساتذة أن يكونوا إنجليزاً، أو ذلك ما كنت أظنه. وقد يكون التلامذة إنجليزاً هم أيضاً إن كانوا محظوظين، وإن لم يكونوا محظوظين، كما هو حالي، فلن يكونوا من الإنجليز" (٦٥).

ويتذمر من مناهج تلك المدارس الإنجليزية التي التحق بها في القاهرة ومدى ما تحمله من تمجيد لتاريخ بعيد عن اهتماماته فيقول: "الدروس والكتب الإنجليزية على نحو ملغز، نتعلم فيها عن المروج الخضر والقصور وعن الملوك جون وألفرد وكانوت، بالجلال الذي يستحقونه حسبما يذكرنا معلمونا بلا انقطاع. لم يكن عالمهم يعني لي الشيء الكثير عدا إعجابي بانتاجهم اللغة التي يستخدمونها" (٦٦).

ولقد كان يملك حساً نقدياً منذ صغره مما دعاه إلى انتقاد تلك المناهج الدراسية وما تحويه من مواد تاريخية بعيدة كل البعد عن اهتماماته.

(٦٥) خارج المكان ، مرجع سابق ص ٦٣.

(٦٦) المرجع نفسه، ص ٦٦.

ويصف مدى ما كان يمارس ضدهم من تمييز عنصري عندما طرده أحد الإنجليزي من مكان عام قائلاً: "يا ولد غادر المكان فقط، وغادره بسرعة ممنوع على العرب ارتياد هذا المكان وأنت عربي" (٦٧).

وقد أدرك إدوارد في كلية فيكتوريا أنه يواجه قوة كولونيالية جريئة وخطرة - قصد بها إدوارد بريطانيا العظمى - بل وقابلة لأن تؤذيه، ووجد نفسه مجبراً على تعلم لغتها واستيعاب ثقافتها لكونها هي الثقافة السائدة آنذاك (٦٨).

وقد ساهمت هذه التجربة في تعزيز قلق إدوارد سعيد من القوى الاستعمارية، وعززت من موقفه المناهض للتمييز العرقي والمخططات الإمبريالية.

ومما زاد مرارة تلك الحادثة في نفسه موقف والده السلبي تجاه هذا التمييز العنصري إذ يقول: "وأشد ما يحز في نفسي الآن بعد مضي خمسين سنة، أنه على الرغم من أن الحادثة لازمتني مدة طويلة جداً وكانت مؤلمة حينها مثلما هي الآن، فقد بدأ وكأنه يوجد عقد استسلامي بيني وبين أبي توافقنا فيه على أننا ننتمي بالضرورة إلى مرتبة دنيا، كان هو يعرف ذلك، أما أنا فقد اكتشفته لأول مرة عندما جابهت ببليية - الرجل الذي عنفه - غير أن أبانا آنذاك لم يجد أن الأمر يستحق نضالاً من أي نوع، ولا يزال ذلك الإدراك يشعرني بالخجل" (٦٩).

(٦٧) ينظر: خارج المكان، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٦٨) حازم خيرى، إدوارد سعيد: أنسية بلا ضفاف، www.ahewar.org

(٦٩) ينظر: خارج المكان، المرجع السابق، ص ٧٢-٧٣.

وهذا مما ميز سعيداً بأنه مثقف مناضل لا يحب الاستسلام للآلام ولا للظلم والتمييز، كانت تلك المواقف تزيد من مقاومته للظلم والاستبداد.

وبتحوله إلى المدرسة الأمريكية تغيرت مضامين تلك المقررات من تمجيد الثقافة الإنجليزية إلى الأمريكية، وقد بدا الاختلاف في منهجية التعليم بين المدرستين إذ يظهر الانضباط الأكثر صرامة في المدرسة الإنجليزية، إلا أن التمييز ضد العرب في المدرسة الأمريكية لم يكن أقل وطأة عنه في المدرسة الإنجليزية، بل كانت معاناته من المعلمين والطلاب الأمريكيين أكثر منه في سابقتها.

ولم يكن شعوره بالغربة والتمييز العرقي في المدارس الإنجليزية في القاهرة بأقل منه في المدارس والجامعات الأمريكية التي التحق بها في أمريكا، فقد واجه ذلك الإحساس بالغربة في مدرسة ماونت هيرمون الأمريكية مع كونه كان متفوقاً دراسياً، ففي الوقت الذي كان مرشحاً لإلقاء كلمة الخريجين حُرِمَ منها لأصوله العربية، ويصف تلك الواقعة بقوله: "أبلغوني للتو أنني سوف ألقى خطبة الترحيب في حفل التخرج، وسيلقي بيرن خطبة الختام، يصعب عليّ تصوّر الأمر ماذا جرى؟ ... شعرت بأنني أنا الذي يستحق مثل هذا التكريم عند التخرج، وقد حُرِمَته ولكنني كنتُ أعرف بطريقة غريبة ولكنها صحيحة أنني لا يجوز أن أعطاه، فتألمت عاجزاً عن قبول المظلمة وعن الاحتجاج عليها أو عن فهم ما قد يكون في نهاية المطاف، قراراً له ما يبرره ضدي. فخلافاً لفischer لم أكن قائداً ولا

مجلة كلية أصول الدين العدد ٩١ رجب ١٤٣٣ هـ ٢٠١٣ م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق
مواطننا صالحاً ولا تقياً ولا حتى مقبولا بشكل عام، فأدركت أنه قد حكم عليّ أن
أبقى اللامنتمي مهما فعلت" (٧٠).

ويواصل وصفه لأثر حادثة حفل التخرج في حياته فيقول : "إلى حين
وقوع حادثة فيشر وحفل التخرج، كنت أحسبني بلا لون، لكن ذلك ألزمني بأن
أرى إلى نفسي هامشياً، وغير أمريكي، منبوذاً، ومعيباً، تحديداً" (٧١).

لقد كان لتلك المواقف أثرها الكبير في تكوين شخصيته الفكرية، وفي
مقاومته للظلم والتمييز، وهذا ما ظهر جلياً في كتاباته.

ولم يكن يشعر بالانتماء لأمريكا على الرغم من حصوله على الجنسية
الأمريكية، ومع حرص والده على الانصهار في المجتمع الأمريكي ونسيان
أصوله العربية، ويصف شعوره ذلك أثناء حفل تخرجه من مدرسة ماونت
هيرمون بقوله : "جلستُ خلال حفل التخرج الفاتر معتمراً قلنسوتي ومرتبداً
العباءة السوداء أشعر بلا مبالاة تصل حد العداء. فهذا هو حفلهم هم، لا
حفلي" (٧٢).

ظل حتى رحيله معتقداً في مسؤولية ذلك النمط من التعليم على قطع
وشائج الصلة بينه وبين ثقافته العربية على خلاف الكثيرين ممن قد يرون فيه
فرصة ذهبية لا مجال لتعهدا باللوم، وهو ما يعضد قولنا بالخصوصية الإردنية

(٧٠) ينظر : خارج المكان ، مرجع سابق ، ص ٣٠٥-٣٠٦.

(٧١) المرجع نفسه، ص ٣٠٦.

(٧٢) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٣٠٦.

في الإحساس بالألم على تشابهها النسبي مع خصوصيات غيره من أصحاب العبقريات في كل زمان ومكان^(٧٣).

منذ هجرته إلى أمريكا بدأ يشعر بنظرة استعلاء من الأمريكيين إذا ذكرت أصوله العربية، وقد لمس ذلك جلياً منذ وصوله وأسرته إلى نيويورك، وبدأ ذلك في أول معسكر شبابي يلتحق به، ومع مرور الوقت بدأ يتجاهل أصوله العربية لعله يسلم من نظرات الاستعلاء تلك، فيقول: "وهكذا فمنذ إقامتي الأمريكية صممت أن أعيش وكأنني نفس بسيطة شفافة، فلا آتي على ذكر عائلتي أو أصلي إلا حسب الأحوال وباقتضاب شديد. بعبارة أخرى قررت أن أكون مثل الآخرين مجهولاً قدر المستطاع. فتعاظم الانشقاق بين إدوارد وسعيد"^(٧٤).

بالرغم من نبوغه العلمي في جامعة برنستون إلا أنه عزم على إكمال السنتين الأخيرتين في هارفارد نتيجة إحساسه بالعزلة وارتفاع حدة التمييز العرقي في برنستون، فيقول: "وقد خطر لنا الانتقال إلى هارفارد في سنة الجونيور لمعارضتنا نزعة العدا للمتقنين المنتشرة بين العديد من الأساتذة والطلاب على حد سواء .. ولم أعد أشعر بأية صلة تشدني إلى الحياة الاجتماعية

(٧٣) ينظر: حازم خيرى، إدوارد سعيد، أنسية بلا ضفاف، ص ٢.

(٧٤) ينظر: خارج المكان، مرجع سابق، ص ١٧٨.

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩١) رجب ١٤٣٣ هـ ٢٠١٣ م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق
خلال عطل نهاية الأسبوع .. فإذا أنا معزول إلى حد كبير وإن كنت في حال من
التجلي الفكري^(٧٥).

ولقد كان شعوره بالعزلة والمنفى داخل النطاق الجامعي دافعاً له للإبداع
والعمل والإنجاز والتجلي الفكري الذي أشار إليه، فلم يترك لذلك الشعور بالظلم
طريقاً لتدمير حياته، بل كان دافعاً ومنطلقاً للإبداع والمقاومة.

كان دائم الشعور بالغربة كونه عاش أطواراً متغيرة في حياته، ومن ذلك
إحساسه بالغربة والاضطراب وكان من صور ذلك الاضطراب اللغوي ويصفها
بقوله : "لقد اختبرت دوماً ذلك الشعور بالغربة المزدوجة فلا أنا تمكنت كلياً من
السيطرة على حياتي العربية في اللغة الإنجليزية، ولا أنا حققت كلياً في العربية
ما قد توصلت إلى تحقيقه في الإنجليزية. هكذا طغى على كتاباتي كم من
الانزياحات والتغايرات والضياح والتشوه، ولكني كنت مدركاً في الأقل لكل ذلك
وقد حاولت استظهاره في مؤلفاتي. فالذي عشتُه صبيّاً في البيت مع شقيقاتي
وأهلي مثلاً اختلف كثيراً عما قرأته وتعلمته في المدرسة. تلك الانزلاقات
والانزياحات هي قوام هذا الكتاب، وهي السبب الذي يحدوني إلى القول: إن
هويتي ذاتها تتكون من تيارات وحركات لا من عناصر ثابتة جامدة"^(٧٦)؛ ولكنه
استطاع أن يحول ذلك الشعور بالاضطراب إلى نجاحات متعددة.

(٧٥) خارج المكان، ص ٣٣٩.

(٧٦) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٨-٩.

ويصور الشعور بالمرارة عندما يمنع الإنسان من التحدث بلغته الأصلية مما يزيد بإحساسه بالغربة الفكرية فيقول: "وأضحت اللغات الثلاث مسألة حساسة جداً بالنسبة إلي عند بلوغي الرابعة عشرة، فالعربية محرمة، .. والفرنسية لغتهم هم لا لغتي أنا، أما الإنجليزية فمجازة ولكنني أرفضها لأنها لغة البريطانيين المكروهين .. نجد في هذه الإشارة صدى لدور المثقف الذي ارتآه إدوارد سعيد أن يكون .. أداة لبعث الذاكرة المفقودة، وأن يكون مشاهداً ضد إساءة استخدام التاريخ ومظالم العصر الذي تصيب المقموعين" (٧٧).

ومع ذلك تفوق في الإلمام بعدد من اللغات، وتمكن من مخاطبة الغربيين بلغتهم، واستوعب ثقافتهم ومناهجهم العلمية، وناقشهم وحاججهم باللغة والمنهج والثقافة التي يجيدونها، فكان ذلك من مواطن القوة والتميز في الأسلوب والمنهج الذي تميز به سعيد في تحليله وتفكيكه للبنية الاستشراقية الغربية.

لقد أدى شعوره بالاضطراب وعدم الاستقرار في مكان واحد وإحساسه الدائم بالغربة أدى إلى تحفيزه للعمل والإنتاج الفكري وتقبل أي وضع جديد يكون فيه مع ما في تلك الحالة من عدم الاستقرار من الألم والآلام، وفي ذلك يقول: "أدى عدد متزايد من المغادرات إلى زعزعة أركان حياتي منذ بدايتها الأولى. وفي نظري أن ما من شيء يميز حياتي على نحو أشد إيلاماً من تنقلاتي العديدة عبر البلدان والمدن والمساكن واللغات والبيئات، وهي تنقلات ظلت تحركني

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩١) رجب ١٤٣٣هـ ٢٠١٣م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق
خلال تلك السنوات إضافة إلى ذلك الإحساس القوي والتكراري والمتوقع المنفى
الذي ينتزعك من كل ما هو أليف ومريح»^(٧٨).

ويعلق على حقيقة المنفى وما يترتب عليه من شعور بالحرمان من
الانتماء إلى وطن يستقر فيه ويشعر فيه بالانتماء فيقول: "لا يبعث الأحزان
مصير مثل العيش في المنفى، وكان الحكم بالنفي في العصور التي سبقت العصر
الحديث عقوبة بالغة الشدة، فالنفي لا يقتصر معناه على قضاء سنوات يضرب
فيها المرء في الشعاب هائماً على وجهه بعيداً عن أسرته وعن الديار التي ألفها،
بل يعني إلى حد ما أن يصبح منبوذاً إلى الأبد، محروماً على الدوام من
الإحساس بأنه في وطنه"^(٧٩).

عاش إدوارد سعيد في أكثر من مكان وتمثل أكثر من ثقافة خاض في
تخومها بولع متفرد ما جعله يعيش شعوراً بالغربة، وهذا ما يذكرنا بالمنفى، هذا
الفضاء الذي عاش في تخومه ملتاعاً متألماً، فلا هو العربي الذي تمكن من
السيطرة على حياته في اللغة الإنجليزية، ولا هو العربي الذي استطاع أن يحقق
كلياً في اللغة العربية ما توصل إليه في اللغة الإنجليزية، لذا طغى كم من
الانزياحات، والتغايرات، والضياع، والنشوء، والانزلاقات على كتاباته^(٨٠).

(٧٨) نهى بيومي، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٧٩) المتقف والسلطة، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٨٠) رسول محمد رسول، بين التاريخ والسياسة، مرجع سابق، ص ١٥٤.

كان يشعر دائماً بأنه في منفى وبالغربة، وكان من أسبابها قدومه من بلاد يُنظر إليها بانتقاص ويعبر عن ذلك بقوله : "شعرت بأن قدومي من جزء من العالم في حال من المخاض الفوضوي، صار ويرمز إلي أنني في غير مكاني" (٨١).

من المواقف المؤثرة في حياته التي تؤكد شعوره بالمنفى والغربة والتميز استحالة والدته على وثيقة أمريكية كما هي حاله وحال أخوانه، لم يكن أحد يتجشم عناء أن يشرح لنا أن وجود أمي الشاذ بيننا كما تدل عليه وثيقة سفر محرجة إنما هو ناجم عن تجربة اقتلاع جماعية صاعقة .. فكلما حاول الكاتب أن ينسى نفسه أن ينسى هويته وأن ينخرط في العيش كلما وجد نفسه حاملاً دلالة أعمق لهويته الفلسطينية وأكثر تراجيدية (٨٢).

بل ولاحقه الشعور بالمنفى حتى في ممات والده، والذي لم يتمكن من شراء قطعة أرض يدفن فيها والده في لبنان، تلك الأرض التي كانت الأسرة تقضي فيها إجازات الصيف سنوياً وكونت فيها علاقات ووشائج، وكان لو والده مساهمات تنموية في تلك البلدة الضهور نظراً لثرائه وحبه لتلك البلدة التي أوصى أن يدفن فيها، ومع ذلك يلاحقهم الشعور بالغربة والمنفى برفض أهل تلك البلدة بيع قطعة أرض يدفن فيها والده، ويصف ذلك الموقف بقوله: "وفي مطلع العام ١٩٧١م عندما كان يشرف على الموت، أعرب لنا عن رغبته في أن يُدفن

(٨١) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٣٠٦.

(٨٢) ينظر: نهى بيومي، قراءة طباقية لسيرة إدوارد سعيد الذاتية، مرجع سابق، ص ٢٠.

في الضهور، ولكن ذلك لم يتحقق أبداً، لأنه لم يكن أيّ من أهالي البلدة مستعداً لبيعنا قطعة أرض صغيرة نحقق عليها رغبته. فعلى الرغم من سنوات من إخلاصه للبلدة والعديد من الإسهامات في حياتها المشتركة، وحبّه لأهلها وللمكان ذاته، كان لا يزال يُعتبر غريباً في موته، فلم يُسمح له بالدخول إليها، ذلك أن الحياة الرعوية التي ظننا أننا ننعم بها، ورفعناها إلى مستوى المثال، لم يكن لها من موقع في ذاكرة البلدة الجمعية^(٨٣).

ومع إحساس سعيد الدائم بالغربة والبعد عن الوطن وعدم الشعور بالانتماء إلى بلد عاش فيها بإحساس مؤقت على الرغم من إقامته فيها سبعة وثلاثين عاماً، ومع ذلك الشعور بتجربة الاقتلاع والنفي تمكن من إيجاد الوطن البديل والانتماء الدائم بالكتابة والمقاومة الفكرية للنزعات الإمبريالية وتعزية تلك الثقافة المغذية للسلطات الاستعمارية، هكذا استطاع التغلب على الشعور بالانهزامية ومركب النقص الذي حاول المستعمر أن يضعه فيه إلى الشعور بالانتماء إلى وطن أكبر يضم كل الحاملين لواء الحقيقة والمنافحين عن الحق والعدل، وكان ذلك من فوائد المنفى الذي أنتج الاستشراق وغيره من مؤلفاته النادرة، وكيف تحول المنفى إلى طاقة إبداعية هائلة.

ثالثاً: المؤثرات الفكرية في شخصية إدوارد سعيد:

(٨٣) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٣٢٩.

توافق أن كان أول اتصاله بالناقشات الفكرية التي كونت شخصيته نقاشاته مع أبناء جيرانهم في الضهور، وكان ذلك في فترة دراسته للمرحلة الثانوية، ويشير إلى ذلك التأثير قائلاً: "ولاشك في أن الموضوعات الرفيعة المستوى التي كان "منير" يثيرها خلال مناقشاتنا من الوزن الثقيل - معنى الحياة والفن والموسيقى - وقد أسهمت في بلورة شخصيتي الفكرية"^(٨٤).

ويستعرض المدارس الفكرية التي أثرت في مسيرة صاحبه "منير" وكان لها الأثر في حياته الفكرية فيقول: "غير أن منيراً كان متأثراً بمفكرين أمريكيين، "ديك يوركاي"، و "ريتشارد سكوت"، وكلاهما من نتاج الفنون العقلية العلمانية، لا التقوى التبشيرية، وهو ما شرّع آفاقاً فكرية جديدة أمامي. اتخذ ردّ فعلي الأول تجاه تلك الآفاق منحى دفاعياً، ثم أخذت أرتادها بحماس مدهش. خلال تلك المناقشات سمعت لأول مرة (بكانط) و (هيجل) و (أفلاطون). وكما حصل لي عند سماعي مقطوعات موسيقية بقيادة (فورتفانغلر) ومسارعتي للاستماع إلى تسجيلاته من أجل ترسيخ معرفتي بها، بدأت أستعير كتب منير الحاوية مقتطفات من أعمال كبار الفلاسفة الغربيين للغرض ذاته"^(٨٥).

وممن تأثر بهم في مقتبل عمره "شارل"، سفير لبنان في الأمم المتحدة، والذي كان أستاذاً للفلسفة في الجامعة الأمريكية ببيروت - التقى به في لبنان - وعلى الرغم من أن إدوارد لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره في أول لقاءاته به

(٨٤) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(٨٥) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩١) رجب ١٤٣٣هـ ٢٠١٣م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق
إلا أنه تأثر بأفكاره وخلفيته في دراسة الأديان وعن موقفه المناهض لصدام
الحضارات، ويصف ذلك التأثير بقوله: "ما الخال "شارل" ما نسميه تعلمت عن
إغراءات الدوغما وعن البحث عن الحقيقة التي لا يرقى إليها شك، وعن
المرجعية التي لا تقبل أي جدل، ومنه علمتُ أيضاً عن صدام الحضارات،
والحرب بين الشرق والغرب، وبين الشيوعية والحرية، وعن المسيحية وسواها
من الديانات"^(٨٦).

ومن تأثر بهم في مسيرته أستاذ اللغة الإنجليزية في مدرسة "ماونت
هيرمون" الأمريكية، ويشير كيف حرك فيه مكامن الإبداع والتميز تعليقاً على
أحد الأبحاث التي قدمها إليه فيقول: "لأول مرة في حياتي شرّعت لي أستاذ آفاق
موضوع بحثي بطريقة استجبت لها فوراً وبحماس. فاستيقظ لديّ كل ما كان
سابقاً مقموراً ومختوماً في الدراسة الأكاديمية - مقموراً بحيث تأتي الأجوبة
المجتهدة والصحيحة تلقية لبرنامج دراسي منمط وامتحان روتيني مصمم أصلاً
لاستظهار قدرات الحفظ عند التلامذة لا مقدرتهم على النقد والتخيل"^(٨٧).

ويؤكد بأن هذا الموقف دفعه إلى اكتشاف طاقاته وقدراته مما عمق ثقته
بنفسه فيقول: "وإذا مسار الاكتشاف الفكري المعقد (واكتشاف الذات أيضاً) لم
يتوقف منذ ذلك الحين ولأني في البيت أو في ماونت هيرمون على الأقل، لم أكن

(٨٦) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٣٢٥.

(٨٧) المرجع نفسه، ص ٢٨٦.

خارج مكاني من جميع النواحي، فقد حفزني ذلك على البحث عن مداي الخاص، إن لم يكن على الصعيد الاجتماعي فعلى الصعيد الفكري على الأقل^(٨٨).

ويشير إلى تأثره بالناقد الأدبي "بلاكميور" في سيرته النقدية في فترة دراسته في جامعة فيقول: "وثمة أستاذان استثنائيان تركا أثراً دائماً علي. أولهما الناقد الأدبي بلاكميور، أستاذ اللغة الإنجليزية وهو كاتب ومحاضر متوحد تصعب متابعته، وجدت تحدياً كبيراً في عبقريته في الكشف عن طبقات المعاني في الشعر والرواية الحديثين (على رغم لغته النكرة وغير المفهومة معظم الأحيان) شكل بلاكميور بالنسبة إلي قدوة كشفت لي البهجة السرية الكامنة في تأويل النصوص بما يتعدى مجرد التلخيص أو التفسير. لم آخذ أي درس معه ولا أنا قابلته شخصياً، ولكني قرأت كتاباته بشراهة، وكنت أتردد إلى محاضراته عن الشعر والرواية الحديثتين. وكان بلاكميور واحداً من قارئين اثنين لأطروحة التخرج التي وضعتها عن أندريه جيد وغراهام غرين - وهي نص مرهق مع الأسف - فكتب مادحاً "طاقات التحليل القوية" لدي وتوفي عام ١٩٦٥ م^(٨٩).

وممن أثر في مسيرته العلمية في فترة دراسته في برنستون أستاذ الفلسفة "آرثر سزائماري" فبعد أن ذكر "بلاكميور" الأستاذ الأول الذي أثر في مسيرته العلمية قال: "أما الشخصية الثانية فهو بروفسور الفلسفة "آرثر سزائماري" الكائن الصغير النشيط الذي ينعر الجميع أطلاباً كانوا أم زملاء له أم كبار الكتاب. وقد

(٨٨) المرجع نفسه، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٨٩) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٣٣٨.

مثل سزائماري بالنسبة إلى العديد من المتمردين من أمثالي الحياة الثقافية في برنستون، بل هو جسدها تجسيدا كان عظيم التشكك وفتح الأسئلة يشعر عموماً بأن التمهصل الدقيق بين الاعتراضات والنواقص إنما هو نشاط فلسفي من أرقى المستويات^(٩٠).

وممن أثار في مسيرته الفكرية عالم اللغة الألماني أورباخ، ظهر اهتمام سعيد بأورباخ كعالم لغوي لا ينفصل عن اهتمامه به كرمز للمنفى، ويدل على صحة معتقده من خلال تكرار مجتزأ، في أعمال أورباخ وهو في ذات الوقت كثير التكرار في كتابات سعيد. ذلك المجتزأ الذي يتجلى فيه انشغال كل منهما بفكرة المنفى وفقدان الوطن والانتماء^(٩١).

يؤكد إدوارد سعيد أثر كتاب أورباخ محاكاة في مسيرته الفكرية قوله :
"بدلاً من مواصلة تقديم ملاحظاتي عن الفكر الأنسي أثرت التمثيل العياني على محاجتي بالنظر في كتاب كان مهماً بالنسبة لي طوال عمري وهو لا يزال يجسد أفضل نتاج أنسي أعرفه على الرغم من مضي خمسين سنة على صدوره، ألف أورباخ كتابه محاكاة بالألمانية في إسطنبول خلال الحرب العالمية الثانية، لكنه صدر بالإنكليزية في الولايات المتحدة عام ١٩٥٣ م .

(٩٠) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٣٣٨.

(٩١) زينب الغازي، جدل السياسة والثقافة في خطاب إدوارد سعيد النقدي، مجلة فصول، ص ٢١٢.

إن كتاب محاكاة هو الأعظم والأكثر تأثيراً بين المنتجات الأدبية الأنسية في نصف القرن الأخير^(٩٢).

وحول تأثيره بنزعة أورباخ النقدية يقول: "فهو في أفضل الأحوال يعلمنا كيف نكون نقادين أكثر مما يعلمنا كيف نكون أعضاء ممتازين في مدرسة ما"^(٩٣).

ومن جوانب تأثيره بأورباخ: الإنتاج التاريخي للأفكار والإيمان بوجود عوامل خارجة على النص تؤثر في بنائه وأهمها العامل السياسي أي قوة السلطة التي تؤثر على عمل ما. ومن نفس المنطلق عالج سعيد علاقة الشرق بالغرب في كتابه^(٩٤).

يشير سعيد إلى أن المعرفة مقيدة دائماً بالمكان، ولكنه يصر على أن ثمة مكاناً سائداً/مسطيراً إستمولوجياً للانزياح أو الإحلال يطلق عليه الإبعاد لقد كان

(٩٢) إدوارد سعيد، الأنسية والنقد الديموقراطي، ترجمة: فواز طرابلس، دار الآداب،

بيروت، ط ١ عام ٢٠٠٥ م، ص ١٠٩.

(٩٣) إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد. النت

(٩٤) ينظر : زينب الغازي، جدل السياسة والثقافة في خطاب إدوارد، مرجع سابق ،

ص ٢١٣.

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩١) رجب ١٤٣٣هـ ٢٠١٣م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق
نموذج سعيد في كتابه: العالم والنص، والناقد هو إيريك أوبرباخ بينما كان
نموذجه في كتابه الثقافة والإمبريالية هما الناقدان فرانتز فانون وجيمس^(٩٥).

وقد أبدى إعجابه بكتاب أوبرباخ "محاكاة" وهذا من خلال الثناء عليه في
أكثر من موطن في كتبه.

وقد عالج إدوارد موضوعه الاستشراق بصفته أسلوباً غريباً للهيمنة على
الشرق وإعادة بنائه والتسلط عليه، ويعترف إدوارد بأنه انتفع بالفكرة التي
طرحها "ميشيل فوكو" عن الخطاب في كتابيه "علم آثار المعرفة" والتأديب
والعقاب^(٩٦).

وقد استعمل سعيد مدخل فوكو ليخطط حقلاً فكرياً جديداً للغاية بتطبيق
عناصر من مدخل فوكو على التمثيلات الغربية لجزء من "اللاغرب" والتأكيد
على أن "الغرب" نفسه تشكل في علاقة بما أصبح يُعرف بـ "اللاغرب"، وبذلك
ساهم الاستشراق بشكل مهم في نشر عناصر من الفكر الفرنسي ما بعد البنيوي
في العالم الأكاديمي الأمريكي^(٩٧).

(٩٥) ينظر : ميلي ستيل، النفي أم التجذر: سياسات الاختلاف عند إدوارد سعيد وكورنيل
ويست، فصول، ص ١٦٥.

(٩٦) ينظر: تركي الظفيري، منهج إدوارد سعيد في نقد الاستشراق والانتقادات الموجهة له،
رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة، ١٤٣٢هـ.

(٩٧) ينظر: زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته، مرجع سابق، ص ٣٢٢.

قدّم الأنثروبولوجي "جيمس كليفورد" في مقال عن الاستشراق استشهد به على نطاق واسع ونشر في كتابه الصادر في ١٩٨٨م بعنوان مآزق الثقافة مديحاً أكثر تقديراً لكتاب سعيد، بدأ كليفورد باقتراح أن كتاب سعيد يمكن أن يرى بشكل مفيد كجزء من جهد لفهم كيف شكلت إرادة السلطة الغربية المعرفة الأوروبية عن بقية الكوكب^(٩٨).

وأشار بأن كتاب الاستشراق كان محاولة رائدة في استعمال فوكو بشكل منهجي في تحليل ثقافي ممتد وتطويره لكي يتضمن طرقاتاً يتم بها تعريف نظام ثقافي خارجي بالإحالة إلى آخرين غرباء^(٩٩).

يذكر بأنه طالما أعجب إعجاباً شديداً بـ "جامباتستا فيكو" وإحساسه بالعزلة باعتباره أستاذاً مغموراً في مدينة نابولي يجاهد بشق الأنفس للبقاء على قيد الحياة، وعلى خلاف مع الكنيسة والبيئة المحيطة به مباشرة، في كتابه: العلم الجديد^(١٠٠).

(٩٨) ينظر: تاريخ الاستشراق وسياساته، ص ٣١٩.

(٩٩) ينظر: المرجع نفسه، ص ٣١٩.

(١٠٠) المتقف والسلطة، مرجع سابق، ص ١١٢.

وقد بدأ تأثره بأفكار فيكو في مدى تكون التصورات عن الثقافات وصناعة التاريخ فيقول: "وينبغي أن نأخذ بجدية ملاحظة فيكو العظيمة "أن البشر يصنعون تاريخهم وأن بمقدورهم أن يعرفوه ما صنعوه" (١٠١).

ويشير سعيد إلى مدى تأثره بكتابات فيكو وغيره من المفكرين بقوله: صارت الأحداث الهامة بالنسبة لي هي قراءة كتاب فيكو العلم الجديد وكتاب التاريخ والصراع الطبقي للوكاش ومؤلفات سارتر وهايديغر ومير بونتي، وجميعهم أثروا في أطروحتي عن كونراد" (١٠٢).

ومن المفكرين الذين كان لهم الأثر في مسيرة سعيد الفكرية "أدرو" فيذكر إعجابه به فيقول: "لقد كان شخصية مهيبة، وجذابة بلا حدود، وهو يمثل لي ضمير المثقف المهيم في منتصف القرن العشرين، وكانت حياته العملية في مجملها حياة مشاركة ومحاربة لأخطار الفاشية والشيوعية ونزعة الاستهلاك الجماهيري في الغرب" (١٠٣).

(١٠١) إدوارد سعيد ، الاستشراق، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٢،

١٩٨٤م، ص ٤٠.

(١٠٢) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٣٥٣.

(١٠٣) المثقف والسلطة، المرجع نفسه، ص ١٠٢.

كان موقف أدورنو يتضمن مفارقات ويقوم على السخرية والنقد الذي لا يرحم، فكان بذلك يمثل جوهر المتقف الذي يكره جميع الأنظمة سواء كانت أنظمتنا "نحن" أو أنظمتهم "هم" ويجد مرارة الطعم في هذه وتلك جميعاً^(١٠٤).

وكثيراً ما سار سعيد في العديد من كتبه على هذا المنهج المناضل للسلطات المهيمنة، سواء كانت شيوعية أم إمبريالية أمريكية، إضافة إلى أسلوبه الناقد والساحر أحياناً.

وقد تأثر جرامشي في بيان حقيقة المتقف المناضل، وفي تقسيمه لصفات المتقفين، وينقل ذلك التقسيم بقوله : "إن الذين يقومون بوظيفة المتقف أو المفكر في المجتمع يمكن تقسيمهم إلى نوعين : الأول يضم المتقفين التقليديين مثل المعلمين والكهنة والإداريين، وهم الذين يستثمرون في أداء ذلك العمل نفسه جيلاً بعد جيل، والثاني يضم من يسميهم المتقفين المنسقين، وكان جرامشي يرى أنهم يرتبطون مباشرة بالطبقات أو المشروعات التي تستخدم المتقفين في تنظيم مصالحها، واكتساب المزيد من السلطة والمزيد من الرقابة"^(١٠٥).

ويرى جرامشي أن الواقع الاجتماعي ينقسم إلى قسمين هما الحكام والمحكومون، وأظن أن الاختيار الرئيسي الذي يواجهه المتقف هو الاختيار بين الانضمام إلى استقرار البسمنتصيرين والحكام أو السير في الطريق الشاق^(١٠٦).

(١٠٤) المتقف والسلطة، ص ١٠٤.

(١٠٥) المتقف في السلطة، المرجع السابق، ص ٣٣-٣٤.

(١٠٦) ينظر: المتقف والسلطة، مرجع سابق، ص ٧٦.

وبعد عرض تقسيم "جرامشي" للمتقنين يعرض التوصيف الآخر للمتقف لـ "جوليان بندا" والذي يخلع صفات مثالية على المتقنين فيقول: "وفي الطرف الآخر نجد التعريف الآخر والمحتقى به الذي وضعه "جوليان بندا" للمتقنين باعتبارهم عصابة من الملوك الفلاسفة من ذوي المواهب الفائقة والأخلاق الرفيعة الذين يشكلون ضمير البشرية. وإذا كان صحيحاً أن الدراسة التي كتبها "بندا" بعنوان خيانة المتقنين قد تناقلتها الأجيال باعتبارها هجوماً لاذعاً على المتقنين الذين يتخلون عن رسالتهم ويفرطون في مبادئهم أكثر من كونه تحليلاً علمياً للحياة الثقافية. فإن بندا يذكر في الواقع عدداً محدوداً من الأسماء والخصائص الرئيسية للذين يعتبرهم متقنين حقيقيين، فتردد كثيراً الإشارة إلى سقراط ويسوع المسيح (عليه السلام) كما تردد الإشارة إلى الأمثلة الأقرب عهداً مثل سبينوزا وفولتير وإرنست رينان. وهو يقول: إن المتقنين الحقيقيين يشكلون طبقة العلماء أو المتعلمين البالغين الندره حقاً" (١٠٧).

فيظهر بأن مشكلة المتقف عند "بندا" هي تنازله عن السلطة الأخلاقية لمصالح شخصية وعدم التضحية من أجل القيم العليا، وينقل سعيد مأخذ "بندا" على بعض المتقنين بقوله: "يقول بندا: إن ما يعيب متقفي العصر الحاضر هو تنازلهم عن سلطتهم المعنوية أو الأدبية في مقابل ما يسميه "تنظيم المشاعر الجماعية الجارفة"، وهي عبارة تسبق عصرها وتشي بما صرنا إليه، مثل

الطائفية، والمشاعر الجماهيرية والعداوات المستندة إلى اختلاف القوميات والمصالح الطبقية^(١٠٨).

ويذكر سعيد نظرة جاكوبي للمثقف والذي أصبح المثقف اليوم على الأرجح أستاذاً للأدب يعيش منعزلاً في خلوته، ويتمتع بدخل مضمون، ولا يهتم بالتعامل مع العالم خارج قاعة الدرس، ويزعم جاكوبي: أن أمثال هؤلاء يكتبون نثراً خفي الدلالات ويتصف بالهمجية وهدفه الأول هو الترقى في المناصب الجامعية لا التغيير الاجتماعي^(١٠٩).

ثم يستدرك سعيد على جاكوبي فيذكر بأن الصورة التي يرسمها جاكوبي صورة قائمة ولا تتسم بالدقة، محاولاً البحث في حقيقة احتفاء بعض المثقفين للوصول إلى تشخيص أدق للحالة^(١١٠).

ثم يورد سعيد صفات المثقف الحقيقي لدى إدوارد شيلز، عالم الاجتماع المعروف ويقول فيه: "يوجد في كل مجتمع ... بعض الأشخاص الذين يتمتعون بحساسية فذة للقداسة، وبقدرة خاصة على تأمل طبيعة الكون الذي يعيشون فيه، والقواعد التي تحكم مجتمعاتهم. وتوجد في كل مجتمع أقلية من الأشخاص الذين

(١٠٨) المثقف والسلطة، المرجع نفسه، ص ٣٧.

(١٠٩) ينظر: المثقف والسلطة، مرجع سابق، ص ١٢٦.

(١١٠) ينظر: المرجع نفسه، ص ١٢٨.

يتمتعون بمقدرة تفوق طاقة سواهم من البشر العاديين على التساؤل والبحث..".^(١١١)

ثم يشير إلى توصيف "شيلز" للمتقنين بأنهم يمثلون طرفين متباعدين، فإما إنهم يعارضون المعايير والأعراف السائدة، أو أنهم يتخذون موقف الذي يسمح بالتكيف والتوافق، إذ ينحصر همهم في توفير النظام والاستمرار في الحياة العامة^(١١٢).

ويؤكد سعيد أن أبرز مهام المثقف الحقيقي هي مهمة تمثيل المعاناة الجماعية لأبناء شعبه والشهادة على ما كابده وإعادة تأكيد صمودهم ووجودهم برغم كل شيء وتدعيم ذاكرتهم .. وعليه أن يضيفي على الأزمة المزيد من الأبعاد الإنسانية على ما عاناه جنس معين^(١١٣).

ويطالب سعيد بضرورة استقلال كل مثقف عن السلطة باعتبار أن المثقف الحق هو من لديه أفكار يُعبر عنها لغيره في محاضرة أو مقال أو كتاب، وضرورة استمساك المثقف بقيم عالية مثل الحرية والعدالة، وعلى المثقف يقع عبء تمثيل العامة في مقاومة أشكال السلطة جميعا^(١١٤).

(١١١) المرجع نفسه، ص ٧٦.

(١١٢) المرجع نفسه، ص ٧٧.

(١١٣) ينظر: المرجع نفسه، ص ٨٨.

(١١٤) خالد سعيد، إدوارد سعيد ناقد الاستشراق قراءة في فكره النقدي، ط ١، بيروت،

٢٠١١، ص ١٣٨.

ويحدد صفة المثقف الحقيقي بأنه من يعمل لذاته وبذاته، أي: أنه شخص لا يتقيد بما يدين له من فضل إلى ما يربطه بالجامعات التي تدفع الرواتب أو الأحزاب السياسية التي تطلب الولاء للخط السياسي للحزب^(١١٥).

فالمثقف الحقيقي هو من لم يخضع للسلطة ناصراً للحق مدافعاً عن حقوق المظلومين قادراً على فضح كافة صور القهر والظلم.

ويؤكد سعيد على قيمة الناقد المناصر للحق في كتابه العالم، والنص، والناقد: "إن النقد في الغالب أو على العموم ينبغي أن أكون واضحاً. يجب أن يفكر في نفسه بوصفه قيمة أو تعزيزاً حياتياً ومعارضاً بطريقة تأسيسية كل شكل للاستبداد والسيطرة والظلم، إن أهدافه الاجتماعية هي معرفة قهرية/لا قسرية منتجة من خلال الاهتمامات بالحرية الإنسانية^(١١٦).

يتساءل سعيد: إذا ما كان المثقف الفردي المستقل يمكن أن يوجد على الإطلاق، ثم يعلق بأن اتهام كل المثقفين أنهم خونة فقط لأنهم يكسبون عيشهم بالعمل في جماعة أو صحيفة تهمة قاسية، والمثقف يخضع باستمرار لمطالب مجتمعه^(١١٧).

(١١٥) ينظر: المثقف والسلطة، ص ١٢٢.

(١١٦) ينظر: ميلي ستيل، النفي أم التجذر، مرجع سابق، ص ١٦٦.

(١١٧) عز الدين المناصرة، إدوارد سعيد، والنقد الثقافي المقارن، قراءة طباقية، مجلة فصول، ص ١٤٦.

ويتضح مما سبق نبوغ سعيد الفكري منذ الصغر، فقد كانت بدايته اهتماماته بالنقاشات الفلسفية في مراحل حياته الأولى، وقد ظهر تأثيره بعدد من أساتذته ومنهم بلاكميور، والذي تأثر به في مسار تأويل النصوص وأستاذه الآخر أثر مسزاثماري في الجانب الفلسفي؛ واستفاد من منهج أورباخ النقدي وبفكرة فوكو عن الخطاب، وأكد مقولة فيكو بقدرة الإنسان على صناعة التاريخ، وقد أولى بيان حقيقة المثقف وما يجب أن يكون عليه المثقف الحقيقي من صفات، وكان لجرامشي الأثر في تصويره لمكانة المثقف، وهكذا نرى كيف تأثر سعيد بأفكار طائفة من المفكرين ذكرنا أبرزهم في العرض السابق.

الفصل الثالث

منهجية إدوار سعيد في دراسة الاستشراق

تميز سعيد في دراسته للاستشراق بإحاطته بمعظم المناهج والنظريات الإنسانية، فقد درس التراث الاستشراقي من خلفية جيدة بمناهجهم، واستطاع استيعاب مناهجهم وتوظيف تلك المعرفة في دحض منتوجهم الاستشراقي، وهذا ما أثار حفيظة بعض المستشرقين الغربيين ضد سعيد، يعود إلى اتباعه الطرائق نفسها التي كان المستشرقون قد مارسوها عبر مناهج ارتدت على أصحابها، وقد كان نقده للاستشراق من المنابع نفسها التي أمدت المستشرقين بأدواتهم المعرفية هو أبرز ما انفرد به سعيد عن ناقد الاستشراق من قبله، إضافة إلى نقده للمستشرقين عن قرب بعد أن عایشهم وتعرف على مناهجهم عن قرب وأجاد لغتهم واطلع على خلفياتهم .

وقد أتاحت المناهج الليبرالية الغربية التي مارسها لسعيد حرية استخدام أدوات معيارية متعددة، وذلك لاحتواء المنهج الليبرالي على أكثر من منهج تحليلي وأكثر من عدة مفهومية انضوت كلها على ما فيها من اختلاف تحت إطار القبول بالرأي الآخر والإقرار بنسبية المعرفة^(١١٨).

ولعلنا نتعرف على أبرز المعالم المنهجية لدى إدوارد سعيد في التالي:

(١١٨) ينظر، نديم نجدي، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد - حسن حنفي - عبد الله العروي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٥ م، ص ٣٧.

أولاً: منهج النقد الثقافي المقارن عند إدوارد سعيد :

انطلق سعيد في دراسته للاستشراق من منهج نقدي اعتمد فيه النقد الثقافي المقارن الذي يستحضر التأثيرات المتعددة حول النص، مستفيداً من مناهج العلوم الإنسانية بعد دراسته لعدد من المناهج النقدية لرموز النقد الثقافي الغربي الذين أكد في أكثر من موطن تأثيره بمناهجهم وأطروحاتهم، مستفيداً من تنوع المناهج الغربية وتعددتها.

ويركز على مقارنة الثقافات ونصوصها وسردياتها المتنوعة والمختلفة بدلاً من قراءة الأدب المحض، فكل نص ثقافي أو أدبي عند سعيد يحمل إيديولوجيا أو إيدلوجيات، وسياسة أو سياسات، فالعالم أولاً ثم النص ثم الناقد^(١١٩).

وقد تميز بمنهجه النقدي الذي لا يفاضل فيه، وظل النقد سمة سعيد وهويته، وكان يمارسه باعتباره الوسيلة الأهم للإبقاء على الجوهر الإنساني للأشياء، وإزالة ما يحيط بها من تشوهات وتحيزات وخداع. ويمتد نقد إدوارد سعيد الذي سطره في كتبه من نقد الإمبراطوريات الكبرى وحركات المد الكولونيالي إلى النقد الذاتي إلى النقد السياسي إلى النقد الموسيقي، وصولاً إلى النقد الذاتي والعائلي الذي برز بطريقة مدهشة في سيرته الذاتية التي أصدرها بعنوان "خارج المكان" ونقد فيها والده وكثيراً من أفراد عائلته وأصدقائه.

(١١٩) ينظر: إدوارد سعيد والنقد الثقافي المقارن، مجلة فصول، ص ١٢٧.

يصف عز الدين المناصرة منهج سعيد النقدي بقوله : "إدوارد سعيد ناقد ثقافي مقارن يستخدم القراءة الطباقية في قراءته للنصوص الثقافية والأدبية العالمية دون حدود، وكأن كتاباته النقدية تتوافق مع مسيرته الذاتية، المليئة بالطبقات وأولها: اسمه" (١٢٠).

وقد طبق سعيد منهجية القراءة الطباقية لعلاقة الثقافة بالإمبريالية في قراءة السيطرة الإمبريالية بنظمها وأنساقها وانعكاس نظم السيطرة والمقاومة في الثقافة، أي قراءة الثنائيات المتضادة في علاقة الإمبريالية بالثقافة.

ثانياً: المنهج الإنساني الدنيوي لدى إدوارد سعيد :

نادى سعيد باستخدام المنهج الإنساني في دراساته، والذي سماه النزعة الإنسانية، ويؤكد على استخدامه لذلك المنهج في كتابه الاستشراق بقوله: "توسلت في كتابي الاستشراق بأدوات النقد الإنساني، أملاً مني في توسيع رقعة النضال المتاحة لنا، ولكي يحل فكر متأن وتحليل مسهب محل نوبات العداء الهوجاء التي طالما تأسرنا وتشل تفكيرنا، وقد أطلقت على ما أحاول أن أقوم به هنا اسم "النزعة الإنسانية" (١٢١).

ويناقش إدوارد سعيد قضايا الاستشراق والإمبريالية والثقافة والهوية الوطنية والعالمية والإنسانية وما بعد الإمبريالية والسلطة والقوة والتبعية وغيرها

(١٢٠) ينظر : رحيل المفكر والكاتب الفلسطيني الكبير إدوارد سعيد، Almustagbal.com

(١٢١) إدوارد سعيد، الاستشراق الآن، ت: حازم عزمي، مجلة: الفصول، ص ١٨٢.

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩١) رجب ١٤٣٣ هـ ٢٠١٣ م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق
من القضايا، مكرسا مجموعة من المفاهيم والمصطلحات النقدية واصفا نفسه أنه
(مفكر وناقد علماني دنيوي) (١٢٢).

ولكن ما حقيقة الخطاب العلماني الدنيوي لديه، يصف حقيقة ذلك الخطاب
بأن خطابه ليس مجرد خطاب علماني بقدر ما هو خطاب عقلاني يحتفي بقدرة
الإنسان على صنع تاريخه ولا يضعه رهن خدمة فكرة متعالية تهمل الإنسان
بوصفه إنساناً (١٢٣).

ويعني بالنقد الدنيوي النقد الحر من التقييدات والانتماءات الفكرية أو
الحزبية، ويصف النصوص الأدبية بالمادية لارتباطها بالزمان والمكان والمجتمع
موجودة في العالم ومن ثم فهي دنيوية، ويطبق عليها النقد الدنيوي لا الديني.

ويؤكد على أن النزعة الإنسانية تقوم على إبراز دور الفرد وتأکید الحس
الذاتي والتحرر من الخضوع للأفكار السائدة والمرجعيات المعتمدة، وأنها السبيل
الوحيد والأخير لمناهضة مايشوه وجه التاريخ من مظالم وسياسات لا
إنسانية (١٢٤).

(١٢٢) عز الدين المناصرة، إدوارد سعيد والنقد الثقافي المقارن، قراءة طباقية، مج : فصول،
ص ١٣١.

(١٢٣) ينظر: هدى وصفي، ندوة عن إدوارد سعيد، فصول، ٩٨-١٠١.

(١٢٤) ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق الآن، ترجمة: حازم عزمي، مجلة فصول، ص ١٨٥.

ويصف سعيد معالم المنهج الإنساني بقوله: "الناقد ينظر للأمور وهو في المنفى باعتبارها ظواهر اجتماعية إنسانية يمكن تغييرها وليست ثابتة وسرمدية إلهية" (١٢٥).

ويحسن التنبيه إلى أننا لا نسلم لسعيد موقفه الداهض للمنطلقات الدينية وتعظيمه لقدرة الإنسان على صناعة التاريخ، إذ من المسلم لدينا عدم حدوث شيء في هذا الكون إلا بتقدير العزيز الحميد، قال تعالى: وَمَا نَسْأَلُكَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﷻ [التكوير: ٢٩] وقال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﷻ) [القمر: ٤٩].

ويبدو أن إدوارد سعيد وقف هذا الموقف من المنطلقات الدينية متأثراً برؤيته لانحرافات رجال الكنيسة وما ابتدعوه فيها من طقوس تتنافى والعقل السليم، وقد ظهر جلياً من تدمره من الشعائر الكنسية منذ صغره، مع أنه كان من عائلة مسيحية متدينة إلا أنه كان كثير التذمر من حضور قداس يوم الأحد مع أسرته (١٢٦).

(١٢٥) المثقف والسلطة، مرجع سابق، ص ١١١.

(١٢٦) ينظر: خارج المكان، مرجع سابق، ص ٧٩.

وقد عملت أسرته على إلحاقه بالدروس الدينية في الكنيسة وفي ذلك يقول : "كنتُ أعالجُ الجوانب الأخلاقية والروحية من شخصيتي بحضور دروس التعليم الديني الأسبوعية في "كاتدرائية جميع القديسين" في شارع ماسبيرو^(١٢٧). ولم يظهر بأن تلك الدروس كان لها أثر في حياته كما يقول: "لستُ أذكر شيئاً من مضمون التعاليم الدينية الأسبوعية، لا شيء إطلاقاً"^(١٢٨).

ولم يظهر اهتماماً بالتدين، بل وكان حضوره لتلك الدروس استجابة لرغبة أسرته، وفي ذلك يقول عند حديثه عن أحد زملائه المهتمين بالدروس الدينية "في حين يدافع "فيدن" دوماً، ونفاد صبر في النهاية، عن الغموض والعنصر الدرامي للنص الديني واستعصائه على التفسير. أعجبتُ بعقيدة "فيدن" وإن لم أوافق عليها موافقة تامة، لاسيما أنَّ اهتمامي بالأمر كان ناجماً عن تصميم أهلي على طقس التكريس هذا، لا لأنَّ إرادة ربانية تحركني"^(١٢٩).

ومع حصوله على التكريس في الكنيسة إلا أنه لم يكن له أثرٌ بارزٌ في حياته وكأنه كان مجبراً عليه من أسرته، وفي ذلك يقول : "وبعد أن تلقيتُ المناولة بصحبة القديسين والمشاركين العاديين، وجددتني أجهد للشعور بأني بت كائناً مختلفاً عما كنته من قبل، فلم أختبر غير شعور متنافر. إذ تبين أن أُملي في

(١٢٧) المرجع نفسه ، ص ١٨٥.

(١٢٨) المرجع نفسه ، ص ١٦٨.

(١٢٩) المرجع نفسه ، ص ١٨٦.

اكتساب نفاذٍ ما إلى طبيعة الأشياء، أو إدراك أعظمٍ للإله الإنجليكاني مجرد أضغاث الأحلام" (١٣٠).

التحق مرة أخرى وبعد تكريسه في القاهرة التحق بدرس ديني في الماونت هيرمون" في بداية دراسته في أمريكا ولم يتغير موقفه من تلك الدروس إذ كان ناقماً على تلك الدروس إذ يقول: "كان علينا جميعاً أن نحضر صفّاً سخيفاً .. الغرض منه تنمية التقوى لدينا. لم يقتصر الأمر على تكرار المواد التي راجعتها لنيلي التكريس، وإنما كان التعليم موعلاً في نزعة تفسير حرفية، بل أصولية للعهد القديم لم أكن أتخيل أنها ممكنة بشرياً" (١٣١).

وفي مقابل ذلك الموقف من الدروس اللاهوتية كان متشوقاً للدروس الفلسفية مثنياً على أحد معلميه الذي وصفه بالانفتاح قائلاً: "ولكن بفضل انفتاحه وتحرره الكامل من الجمود العقيدي حصل منه على درس قراءة رائع في الفلسفة الكلاسيكية من أفلاطون إلى أرسطو مروراً بعصر الأنوار وصولاً إلى كيير كيغار" (١٣٢).

وبجانب تذمره من قداس الأحد كان ينتقص سلوك المنصرين فيصفهم بالمهووسين، ففي وصفه لأحدى زوجات الأطباء الفلسطينيين يقول: "وأما زوجته إيدا السويدية الألمانية النحيلة، فهي صيغة مبكرة عن نسميهم الآن "المهووسين

(١٣٠) المرجع نفسه ، ص ١٨٧.

(١٣١) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ٣٠٢.

(١٣٢) المرجع نفسه ، ص ٣٠٢.

بالمسيح" إذ تستغل فرصة وجود مرضى زوجها ومعظمهم من المعوزين ينتظرون بقلق دورهم للمعاينة لتحديثهم عن مريم العذراء^(١٣٣).

ويستطرد في وصف دروسها بالرتابة المتناهية، وتصرفها بالسذاجة في محاولتها لتصير فقراء المسلمين المصريين في شبرا دون أدنى استجابة، فينقل عن إحدى اللبنانيات التي تصف لهم جهود تلك السويدية المنصرة قولها: "ولم تكن تكل عن إبلاغنا بالمحاولات المخبلة التي تبذلها السويدية العجوز لهدي العديد من فقراء شبرا - وجلهم من المسلمين - إلى المسيحية، فقد كانت تدعوهم من قارعة الطريق إلى غرفة الجلوس، ثم تطفئ الأنوار وتتحفهم بعرض للشرائح الفوتوغرافية الملونة، وتروح تحكي لهم برتابة لا متناهية عن العائلة المقدسة والخلاص والفضائل المسيحية. وإذ يكتشف الغرباء الضجرون والمرتبكون أن الأجنبية العجوز منشغلة عنهم، يلتقط كل واحد فيهم قطعة أثاث منقولة - مزهرية أو بساطاً أو علبة- وينسل خارجاً من غرفة الجلوس المتواضعة للدكتور حداد. وفي أقل من ساعة تكون الغرفة قد جُرّدت من محتوياتها في الوقت الذي يجول الطبيب فيه على مرضاه والزوجة تلقي مواظبتها الملهمة"^(١٣٤).

ويصف نصر أبو زيد إنسانية سعيد بقوله: "ينتمي إدوارد سعيد إلى إطار الثقافة المدافعة عن الحق والحرية والمساواة، ومن هنا كان نقده للاستشراق والإمبريالية وتأثيرهما في الثقافة والنظرة إلى الآخر. وموقفه النقدي هذا نابع من

(١٣٣) المرجع نفسه ، ص ١٦٢.

(١٣٤) خارج المكان، المرجع نفسه، ص ١٦٢-١٦٣.

منظور إنساني، وإدوارد سعيد مثقف ينتمي إلى الحقيقة وضد تزييفها لأغراض سياسية، وهذا كان موضوعه الدائم، أي: الوقوف ضد خيانة العلم والمعرفة. وكان هذا موقفه الطبيعي ضد الاستشراق، أي: أن تسخر المعرفة لاستغلال الشعوب. وهذا موقف إنساني يلتقي فيه مع العديد من المفكرين الإنسانيين في الثقافة كافة^(١٣٥).

يشير حازم خيرى إلى منهج سعيد الإنساني بقوله: "إدوارد يعطينا مفتاح شخصيته ويعري لنا في جرأة وشفافية إرهابات نزوعه الأنسي .. أليس يحدثنا عن القلق الذي لطالما رافقه في رحلة الحياة، والذي ساعدت على خلقه والاحتفاظ به في حالة تأرجح دائم ظروف البيئة التي نشأ فيها، ثم أليس يحدثنا في الاقتباس نفسه عن رؤيته لنفسه ككتلة من التيارات المتدفقة تكون في أفضل حالاتها عندما لا تستدعي التصالح ولا التناغم، وهو حديث يشي في مجمله بالولع الأدوري بالحراك الدائم والتشكيك المستمر"^(١٣٦).

ويتنبأ بنجاح الدعوة إلى الديمقراطية، وإلى وجود عالم إنساني واحد تجمعهم مصالح مشتركة، وأن تتحرر الشعوب من جبروت حكامها، ويعيد تفاؤله ذلك إلى وجود شبكة الإنترنت ووسائل الاتصال المتعددة والتي فتحت أبوابها للجميع في ديموقراطية غير مسبقة^(١٣٧).

(١٣٥) نصر حامد أبو زيد، مفكر فلسطيني ينتمي إلى الإنسانية، www.almustabal.com.

(١٣٦) إدوارد سعيد، إنسانية بلا ضفاف، مرجع سابق، ص ٣.

(١٣٧) ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق الآن، مرجع سابق، ص ١٨٦.

ظهر انتماء سعيد للمنهج الإنساني الدنيوي، والذي يُعلي من قدرة الإنسان على صناعة التاريخ والمساهمة الفاعلة في مسيرة الحياة العلمية، مع الدعوة إلى التحرر من الخضوع للمصادر الغيبية الدينية، مع عدم تسليمنا لموقفه المناهض للمصادر الغيبية على الإطلاق دون التفريق بين الشعائر الكنسية المحرفة وما عليه الدين الحق الذي لا تناقض فيه بين العقل والنقل، ولا شك بأن مشاهداته لانحرافات الكنيسة كان لها الأثر البارز المناهض للمصادر الدينية.

وقد ظهر انتقاده للعبادات والشعائر الكنسية ودعوته إلى عالم إنساني تتحقق فيه الحرية والعدل والمساواة وانتقاده للمثقفين ممن خانوا رسالة العلم والمعرفة.

ثالثاً : المنهج الأدبي لدى سعيد:

يختار سعيد في سرده المناهض مخزوناً كلامياً يتصف ببلاغه خطابية متميزة، قلما نجد سياسياً لا يتمتع بفن جعلها أساساً لإستراتيجية التعامل مع الشرق حتى "إذا ما اكتسبت طروحات سعيد قوتها الإقناعية من امتلاكها لأنساق سردية مختلفة ذات نطاق واسع موهبته في طرح براهين تفصيلية^(١٣٨).

(١٣٨) ينظر: نديم نجدي، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، عند إدوارد سعيد، دار الفرابي، بيروت، لبنان. ص ١١٩.

وشرع في التفكيك البنيوي للخطاب الاستشراقي من منظور أكاديمي، مستخدماً أسلوباً أدبياً تكسر فيه الزمن، وتداخل بين الماضي والحاضر، مثلما دأب عليه كتاب الرواية الحديثة^(١٣٩).

وقد سرد قصة حياته في كتابه خارج المكان بأسلوب أدبي ممتع ومشوق، في صياغة أدبية فريدة من نوعها، مقدماً ومحللاً وراصداً لأهم محطات حياته، بكل تفاصيلها وبدقة متناهية بأسلوب أدبي رائع.

ويستخدم سعيد أسلوب البحث عن المتشابهات في النصوص لصالح موضوعه الأثير إلى نفسه أي: تحليل الإمبريالية من خلال السرد الروائي، وأحياناً بعض الشعر. فالمركز في النص بالنسبة إليه هو البحث عن تجليات الإمبريالية وأشكالها ودلالاتها، من حيث تركزها حول معنى القوة ومحور الآخر في النص، لكن الإضافة المهمة التي أضافها سعيد في هذا التحليل هي تحليل المقاومة النصية، وربطها بالمحيط وتفسيرها، فالسرد الروائي أو الشعر - عند سعيد - هو ذريعة لتحليل الإمبريالية والمقاومة كموضوع^(١٤٠).

عمد سعيد ونعوم تشومسكي إلى نهج أسلوب التكرار في عرض أفكارهما، ومع ما قد يؤخذ على هذا الأسلوب من النقد إلا أنه أسلوب هام في ترسيخ المعاني، وذلك في مواجهة وسائل الإعلام وغيرها من مؤسسات السلطة،

(١٣٩) ينظر: المرجع نفسه ، ص ٩٦.

(١٤٠) عز الدين المناصرة، إدوارد سعيد النقد الثقافي المقارن: قراءة طباقية، مرجع نفسه ، ص ١٣٣.

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩١) رجب ١٤٢٣ هـ ٢٠١٣ م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق
والتي هي من القوة بحيث لا يمكن قول الحقيقة مرة واحدة، بل يلزم تكرار تلك
الحقائق وتنويع عرضها حتى تجد قبولاً لدى المتلقين (١٤١).

ينتقل سعيد في كتابه الثقافة والإمبريالية من اكتشاف الإمبريالية إلى
الإستراتيجية الطباقية للروايات الموضوعية جنباً إلى جنب الإمبريالية بالإضافة
إلى روايات المقاومة والمعارضة (١٤٢).

وقد ساهم امتلاك سعيد لخاصية الأسلوب الأدبي في انتشار كتاباته
ومؤلفاته.

(١٤١) ينظر: نديم نجدي، مرجع سابق، ص ١٦٣.
(١٤٢) ميلي سنيل، النفي أم التجذر: مرجع سابق، ص ١٦٤.

الفصل الرابع

موقف إدوارد سعيد من الاستشراق

يبرز موقف سعيد من الحركة الاستشراقية جلياً من خلال عدد من كتبه والتي بين فيها علاقة الشرق بالغرب، ويأتي أبرزها في هذا المجال كتابه الاستشراق، والذي لاقى انتشاراً واسعاً وردود فعل كبيرة ونقاشات فكرية واسعة، ويحدد هدفه من دراسته في كتابه الاستشراق بقوله: "إن تحليلي يحاول أن يجلي هذا الحقل الاستشراق، وتنظيمه الداخلي ورواده وشيوخ ثقافته ونصوصه الشرائعية وأفكاره التبسيحية وشخصياته النموذجية وأتباعه ومحكمي صنعته وسلطاته المرجعية الجديدة"^(١٤٣).

ويحدد مفهوم الاستشراق بأنه: أسلوب من الفكر، قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب"^(١٤٤).

وهو أيضاً: أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستتباؤه وامتلاك السيادة عليه"^(١٤٥).

وفي موطن آخر يصف الاستشراق بأنه: "معرفة بالشرق تضع الشرقي في قاعة التدريس، في محكمة، في سجن، أو في دليل موجز، لأغراض التحليل المدقق والدراسة والمحاكمة والتأديب أو الحكم"^(١٤٦).

(١٤٣) إدوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق، ص ٥٥.

(١٤٤) ينظر: الاستشراق، ص ٣٨.

(١٤٥) ينظر: الاستشراق، ص ٣٩.

(١٤٦) ينظر: الاستشراق، ص ٧١-٧٢.

ويحدد حقيقة الاستشراق وميادينه في المحاور الثلاثة التالية إذا يقول : " والاستشراق كدائرة في الفكر والخبرة يشير بالطبع إلى العديد من الميادين المتقاطعة أولها: العلاقة التاريخية والثقافية بين أوروبا وآسيا وهي علاقة تمتد في ٤٠٠٠ سنة من التاريخ، وثانيها: النظام التدريسي العلمي في الغرب والذي أتاح في مطلع القرن التاسع عشر إمكانية التخصص في دراسة مختلف الثقافات والتراثات الشرقية، وثالثها: الافتراضات الإيدلوجية والصور والأخيلة الفانتازية عن منطقة من العالم اسمها "الشرق" مهمة بصورة راهنة وملحة بالمعنى السياسي. القاسم المشترك النسبي بين هذه الجوانب الثلاثة من الاستشراق هو الخط الفاصل بين "الشرق" و "الغرب"، وهو كما جادلت حقيقة من صنع البشر أسميها: الجغرافيا المتخيلة أكثر من كونه حقيقة طبيعية" (١٤٧).

ومن خلال المفاهيم السابقة لحقيقة الاستشراق من وجهة نظر سعيد تبرز معالم الاستشراق بأنه أسلوب للهيمنة على الشرق، يقوم على صورة خيالية عن الشرق تدعي الفوقية الغربية مقابل الدونية للشرق.

ويحدد إدوارد سعيد بداية الاستشراق بتأسيس عدد من الكراسي في الجامعات الغربية فيقول: "يُورخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي، بصدور قرار مجمع "فينا" الكنسي عام ١٣١٢م بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في "العربية

(١٤٧) إدوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٣٤.

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩) رجب ١٤٢٣ هـ ٢٠١٣ م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق
واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات: باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينون
وسلامانكا^(١٤٨).

وحول حقيقة الاستشراق يشير سعيد في كتابه الاستشراق إلى محاضرة
ألقاها بلفور وزير خارجية بريطانيا الأسبق في مجلس العموم البريطاني سنة
١٩١٠م في دفاعه عن احتلال بريطانيا لمصر والذي يربط بين المعرفة والقوة.
فالمعرفة تمنح القوة، ومزيد من القوة يتطلب مزيداً من المعرفة، والمعرفة في
نظره تعني المسح الكامل لحضارة ما من أصولها الأولى إلى ذروتها^(١٤٩).

وذلك على حد زعم بلفور (إننا نعرف الحضارة المصرية أكثر مما
نعرف أي بلد) إذ كانت المعرفة بالنسبة لبلفور لا تعني فحسب الإحاطة
بالحضارة من جذورها بل بالقدرة على فعل ذلك، فمقدمات خطاب بلفور تبين
بوضوح شديد كيف أن المعرفة والهيمنة تسيران يداً بيد^(١٥٠).

وقد اختار سعيد التعليق على خطاب بلفور باعتباره نموذجاً لحكام
الغرب لما يمثله من العلاقة بين الاستشراق والسلطة، وقد كتب بلفور نصوصه
بلغة مشبعة بتعابير الاستعلاء الغربي على دونية الشرق كما يتصور^(١٥١).

(١٤٨) الاستشراق، مرجع سابق، ص ٨٠.

(١٤٩) ينظر: المرجع نفسه، ص ٦١.

(١٥٠) ينظر: خالد سعيد، إدوارد سعيد ناقد الاستشراق قراءة في فكره وتراثه، مرجع سابق
ص ٩٨.

(١٥١) ينظر: الاستشراق، مرجع سابق، ص ٩٦.

ومن منطلق "المعرفة تمنح القوة" يذكر سعيد بأن الأوربيين انكبوا منذ عصور سحيقة على دراسة الشرق والشرقي وكأنهما في قاعة تدريس أو محكمة أو سجن أو في دليل موجز لأغراض التحليل العلمي، وهذا يعني أن الشرقي اعتبر شيئاً يُدرس ويؤدب ويُحاكم ويُوضح^(١٥٢).

والأمم الشرقية عند بلفور، لم تؤسس من منطلق "حكم الذات" لأنها غير قادرة على ذلك مما يحتم على المستشرقين أن يحكموها ويمثلوها ويُعبّروا عن آرائها وتطلعاتها وهذا يستلزم ضرورة احتلال أوروبا للشرق^(١٥٣).

ولم تكن قضية الاستشراق في المقام الأول بالنسبة لسعيد قضية جهل أو حكم مسبق أو تحيز أو عنصرية باحثين أو مسئولين أو كُتّاب أو أفراداً برغم أنه أوضح أن هناك حالات عديدة قائمة من هذا القبيل. فالاستشراق أساسه مشاركة في تمثيل للشرق يزعم أنه وجودياً - أي في صميم وجوده أو طبيعته الأساسية - مختلف جذرياً (وعادة متخلفاً) عن عالما الغربي الذي يخصصنا^(١٥٤).

ولقد كان التمثيل الغربي للشرق محمولاً على افتراض أن الشرق والغرب مختلفان جذرياً وبشكل متعذر الاختزال^(١٥٥).

(١٥٢) ينظر: الاستشراق، مرجع سابق، ص ٧١، ٧٢.

(١٥٣) فايز الترحيني، الاستشراق، إدوارد سعيد، مجلة الفكر العربي، العدد ٣٢، ١٩٨٣م، معهد الإنماء العربي، بيروت، ص ١٥٣.

(١٥٤) ينظر: تاريخ الاستشراق وسياساته، مرجع سابق، ص ٣٠٢.

(١٥٥) المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

أي: أن الموقف الاستشراقي ينطلق من تصور اختلاف الشرقيين في أصولهم وطبيعتهم الأساسية عن الغرب، فكأنهم يحملون جينات التخلف والاختلاف عن الشرق، فلذلك كان ذلك الموقف منهم.

بينما كان سعيد متنبهاً بالتأكيد للعمل النقدي الذي بدأ قبل الاستشراق، فإنه ركز تماماً بلا شك في كتابه الاستشراق على مسألة التمثيل كيف تدرك المجتمعات وتصور نفسها وغيرها^(١٥٦).

إذ يصور المستشرقون الشرق والشرقي بالعجز عن تمثيل أنفسهم مما استدعى قيام الغرب بهذه المهمة كما زعموا.

وبناء على تقسيم الدراسات الاستشراقية العالم إلى قسمين أوروبي وهو القوي الفصيح، وآسيوي وهو المهزوم النائي، أصبح من حق القوي أن يفصح عن الضعيف المهزوم ويمثله، والإفصاح والتمثيل حق مكتسب للقوي بل قد يكون من أبسط واجباته الحضارية^(١٥٧).

ومع تطور الاستشراق وظهور ما يسمى بالاستشراق الحديث لم تتفك هذه الرؤية والمنطلق عن كتابات عدد من المستشرقين. ويشير سعيد إلى مؤلفات عدد من المستشرقين الجدد والتي قامت على دراسة الشرق بوصفه اختراعاً غربياً يجب أن يحكم ويمثل ذكر منهم وليم موير، ورينهارت دوزي، وريتشارد بيرتن،

(١٥٦) المرجع نفسه، ص ٣٣٧.

(١٥٧) المرجع نفسه، ص ٧٢.

وإدوارد لين، وشاتو بريان، ولامارتين، وفلوبير، ونرفال، شكلت كتاباتهم مكتبة استشراقية تأثر بها بلفور وكرومر وكل من تعامل مع الشرق بعدهم^(١٥٨).

ومن المنطلقات الاستشراقية في رؤية المستشرقين للشرق أن معظم الدراسات الاستشراقية عن الشرق قامت على نصوص إنشائية تخيلية غير واقعية أضحت ثوابت ومسلمات لدى المستشرقين مع مرور الأزمان.

ويرى سعيد أن المعرفة الاستشراقية كانت تعتمد على "النص" (الإنشاء) لتركيز "السلطة" وأكثر النصوص كانت "تخيلية" لا تصور الواقع تصويراً مبدعاً أو حتى ناسخاً، فالشرق كما نقله المستشرقون إلى قرائهم ليس كما هو في الواقع بل كما شرّقن وخُطط له أن يكون^(١٥٩).

لذلك أضحت عملية تطبيق النص الإنشائي المشرّقن على الشرق والشرقيين أزمة خلقت عند الأوروبيين الشعور بالفوقية والدونية، وجعلت الشرق يُعاین من مخلوقات الغرب التي يجب أن تُحكم وتمثّل^(١٦٠).

وصور المستشرقون الشرق صور تخيلية يمثل لديهم الأساطير والصور الخيالية، فكان الشرق في نظر المستشرقين يمثل العالم القديم، فهو يحن إليه كما

(١٥٨) ينظر: الاستشراق، إدوارد سعيد، مراجعة فايز ترحيني، مرجع سابق، ص ١٥٦.

(١٥٩) ينظر: المرجع نفسه، ص ٤١.

(١٦٠) ينظر: الاستشراق، إدوارد سعيد، دراسة تحليلية، ص ١٥٥.

يحن إلى الفردوس، ففيه نشأت الأديان .. وهذا ما رسخ لدى المستشرقين بأن الشرق موضوع أكاديمي وحقل اكتشاف^(١٦١).

وقد كان المستشرقون في الحقيقة يكتبون لجمهورهم الغربي، ويلبسون رغبة دفينة تراكتت عبر التاريخ لإظهار صور محددة للشرق تطابق ما تشكل من صور له في الخيال الغربي، وهكذا فإن المستشرقين بفعل نزعة التفوق يعاودون إنتاج ما للآخر على وفق رؤية الغرب، ومن هنا فإن الاستشراق يكشف عن طبيعة العقلية الأوروبية الغربية ونظرتها إلى الآخر أكثر مما يكشف عن طبيعة الموضوع المدروس^(١٦٢).

وإن خطورة المعرفة الأوروبية للشرق أنها كانت تخيلية أي معرفة مشرقنة كما أرادها المستشرقون أن تكون، لا كما هي في الواقع والحقيقة، فالإسلام بالنسبة لهم "هرطقة آرية" والنبي محمد "ناشر لوحى زائف" كما يزعم غير واحد من كبار المستشرقين^(١٦٣).

ومن المزالق الاستشراقية التي قام عليها الاستشراق من وجهة نظر إدوارد سعيد نظرة الاستعلاء الغربية، فقد كانت الدراسات الاستشراقية مثقلة منذ البدء بالشعور بالفوقية والدونية، أو الشعور بالتمييز السلالي أو العرقي إذا جاز التعبير. وهذا النوع من الفهم كان عاماً في أوروبا تأثر به حتى أكثر الكتاب

(١٦١) ينظر : المرجع نفسه، ص ١٥٤.

(١٦٢) باقر بري، إضاءات على كتاب الاستشراق، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ١٠٣.

(١٦٣) ينظر: الاستشراق، مرجع سابق، ص ٩٢.

روعة خيال، أمثال: فلويير، ونرفال، وسكوت، وهؤلاء خضعوا لضوابط مقيدة في ما يمكن أن يقولوه عن الشرق^(١٦٤).

ولقد كان المستشرقون قبل القرن الثامن عشر كما يذكر سعيد يعتمدون التصنيف الأفقي والعمودي للكائنات الشرقية وللغاتهم وبلدانهم، ونتج عن ذلك ما يعرف بالفوقية والدونية، ومع القرن العشرين سعى الغرب جاهداً للمحافظة على الشرق والإسلام ككيانين لكن تحت سيطرته، وأخذ المستشرقون يتسابقون في رفع شأن الشرق، وتحويل واقعه الخامل إلى شيء من الفعالية والحركة لكن غايتهم الرئيسة كانت طبع فعالية الشرق الجديد ضمن رؤيا أوروبية جديدة^(١٦٥).

ولم يتخل الاستشراق الحديث عن نزعة التصنيف والتي تقوم على تصنيف الطبيعة والإنسان بحسب العرق والجنس والأصل واللون والمزاج والشخصية، إذ ظهرت تلك النزعة في كتابات عدد من المستشرقين^(١٦٦).

ولم تسلم كتابات سلفستر دي ساسي من النزعة الفوقية، وقد وقف إدوارد سعيد عند كتاباته وخصص له عنواناً في كتابه الاستشراق^(١٦٧).

وقد اتسمت كتاباته بعملية المسح الشامل للمختارات العربية؛ ولكنه لم ينفك عن النظرة الفوقية للاستشراق في نظريته ودراسته للشرق باعتباره شيئاً

(١٦٤) ينظر: الاستشراق، مرجع سابق، ص ٧٤.

(١٦٥) ينظر: الاستشراق إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص ١٥٧.

(١٦٦) ينظر: الاستشراق، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(١٦٧) ينظر: الاستشراق، المرجع نفسه، ص ١٧٥.

ينبغي أن يرمم، وبكونه قدم الشرق للغرب في هيئة حضور شرقي، وتبعه في ذلك عدد من طلابه في الجامعات الأوروبية^(١٦٨).

ومن المستشرقين الذين توقف إدوارد سعيد عند منهجهم في دراسة الشرق "إرنيست رينان" والذي جاء متمماً لسابقه "ساسى" في منهجه اللغوي، فقد عمل على ربط الشرق بأكثر فروع المعرفة المقارنة فقه اللغة^(١٦٩)، مع الانطلاق من النزعة العرقية والنظرة الفوقية للغرب على الشرق، فقد عمد على مقارنة اللغة السامية واللغات الهند أوروبية من منطلق استعماري إذ زعم عدم المساواة بين الشعوب، ودعا إلى السيطرة الأوروبية على الشرق لأن السامية ارتبطت في ذهنه بالتخلف والانحطاط الأخلاقي والبيولوجي مقابل التقدم والفوقية للأوربيين^(١٧٠).

اهتم سعيد باستشراق دي ساسى ورينان اهتماماً بالغاً لكونهما دعماً للفكر الاستشراقي جعلت من الشرق مختبراً لتطبيقات المنهج الفيولوجي (فقه اللغة) فغدا الشرق موجوداً بقوة في الحضور البلاغي لكتابة ساسى والذي اعتمد على سجلات المحفوظات الشرقية، ومما لاشك فيه أن معاينة الشرق عن قرب وعلى أرض الواقع أكثر إقناعاً من المعاينة بالاعتماد على النصوص المكتوبة^(١٧١).

(١٦٨) ينظر: الاستشراق لإدوار سعيد، مراجعة: فايز ترحيني، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(١٦٩) ينظر: الاستشراق، مرجع سابق، ص ١٥٢.

(١٧٠) ينظر: الاستشراق لإدوار سعيد، مراجعة: فايز ترحيني، مرجع سابق ص ١٥٦.

(١٧١) ينظر: أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١١٦.

وقد يسجل على دي ساسي مأخذ عدم التطابق في مكتوبه بين المنقول والمنقول عنه، وذلك لعدم قراءته للواقع في خضم التجارب الإنسانية^(١٧٢).

وهكذا تعاقب المستشرقون على تعزيز النظرة الفوقية للغرب مقابل الدونية للشرق.

ويؤكد سعيد بأن الاستشراق قد استشرق بمعنى أنه أعطيت له صفات كل الغرب، فالاستشراق شكل من أشكال الهيمنة الأوروبية على الشرق أكثر مما هو - كما يدعي الغرب - كلام علمي عنه، ذلك أن سعيداً يعتقد أن إنتاج المعرفة في العلوم الإنسانية غير قادر على تناسي موقع الكاتب كإنسان في ظروف محددة^(١٧٣).

فيرى سعيد أن الكتابة الاستشراقية أياً كان موضوعها تفرع عن رغبة أولى لدى الغرب بمجمله، عن رغبة بالهيمنة.

وهكذا عمق الاستشراق التمييز بين الفوقية الغربية والدونية الشرقية، وأخضع الاستشراق للإمبريالية والوضعية المنطقية والطوباوية والتاريخانية والدارونية والعرقية والفرويدية والماركسية^(١٧٤).

(١٧٢) ينظر: المرجع نفسه، ص ١١٧.

(١٧٣) حلمي ساري، المعرفة الاستشراقية دراسة في علم اجتماع المعرفة، مجلة العلوم

الاجتماعية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ص ٢.

(١٧٤) ينظر: الاستشراق، مرجع سابق، ص ٧٤.

يؤكد سعيد بأن الاستشراق عمل على تسويق وتبرير الحكم الاستعماري، وقد عمد الاستشراق إلى تقسيم العالم إلى مناطق بينهما تمايز حقيقي أو وهمي، واستخدمت مصطلحات عديدة للتعبير عن هذه العلاقة، فالشرقي كما ورد لدى بلفور وكرومر لاعتقالي، فاسق، طفولي، وبالمقابل الأوروبي عقلاني منحل بالفضائل، ناضج، سوي^(١٧٥).

ويؤكد سعيد على أن الاستشراق تحول من إنشاء بحثي إلى مؤسسة إمبريالية^(١٧٦). فالإمبريالية بهذا المعنى ترمي إلى تطويع كل المستجدات حتى تتكيف مع متطلبات توسعها وهيمنتها الضامرين خلف الوجه النقابي للغرب المعاصر، حتى إن الإمبريالي الغربي لم يكن بوسعه أن يرى أنه كان إمبريالياً كما يقول سعيد^(١٧٧).

وعن علاقة الثقافة والأدب بالسياسة يقول: "كثيراً ما يفترض أن الأدب والثقافة بريئان سياسياً بل حتى تاريخياً، ولكن بدا لي بصورة مطردة مغايراً لذلك"^(١٧٨).

(١٧٥) ينظر: المرجع نفسه، ص ٧١.

(١٧٦) ينظر: المرجع نفسه، ص ٧٢.

(١٧٧) ينظر: إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٢٢٤.

(١٧٨) الاستشراق، مرجع سابق، ص ٦٠.

ويشير سعيد إلى النقاد الذين اهتموا بعلاقة الثقافة والإمبريالية في دراساتهم مثل: مارتن جرين، مولي ماهود، جون ماكلور، وبشكل خاص باترك برانتلنجر، غير أن هؤلاء النقاد وصفيون سرديون بينما مؤلفات: جون راسكن: أساطير الإمبريالية، جوردون لويس: الرق والإمبريالية والعبودية، كيرنان: الماركسية والإمبريالية - وأرباب الجنس البشري، جميع هذه المؤلفات كما يقول سعيد - تشير إلى مركزية الفكر الإمبريالي في الثقافة الغربية الحديثة^(١٧٩).

ويؤكد سعيد على أن العلاقة بين الثقافة والإمبريالية ليست سببية على وجه التحديد، إنما هي علاقة تواسج وتداخل لا تنفصل فيها ثقافة الغرب عن إمبرياليته، وهذا من شأنه أن حمل الثقافة شيئاً من المسؤولية عما يجري في السياسة^(١٨٠).

وقد عمد الإمبريالي إلى فرض هيمنته الثقافية مستخدماً العديد من المراكز البحثية والأكاديمية والتي تؤسس لحالة من التواطؤ مع أهداف المؤسسات السياسية والاستخباراتية^(١٨١).

وقد أبان الدور الخطير الذي يقوم به المستشرقون في التبرير للاستعمار، وذلك بإقناع شعوب الغرب بضرورة احتلال البلدان العربية والتحكم في مقدراتها

(١٧٩) عز الدين المناصرة، إدوارد سعيد والنقد الثقافي في المقارن، قراءة طباقية، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(١٨٠) نديم نجدي، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٧٣.

(١٨١) ينظر: الاستشراق لإدوارد سعيد، مراجعة فايز ترحيني، مرجع سابق، ص ١٠١.

و ثرواتها النفطية لعجز تلك الدول على تصريف أمورها واستثمار ثرواتها، وقد ظهر ذلك جلياً في الاستشراق الأمريكي والذي شن حروباً على البلدان العربية بقصد الاستيلاء على ثرواتها، وقد لعب المستشرقون دوراً بارزاً في توجيه تلك السياسات وتبرير للاستعمار الأمريكي للبلاد العربية.

وقد اتضحت معالم الحركة الاستشراقية في أمريكا كما يراها سعيد بعد الحرب العالمية الثانية، واستمرت الكتب والمؤلفات التي تناولت الموضوعات العربية والإسلامية، وبقيت تنتظر إلى المعرفة النصية المكتوبة في القرون الوسطى وعصر النهضة كمراجع ومنطلقات، فمؤلفات برنارد لويس اتخذت طابعاً إمبريالياً بقيت تنتضج بالموقف العدائي للإسلام والعروبة وبأمثاله تأثر صانعو السياسة في أمريكا^(١٨٢).

ويشير سعيد إلى أن عدداً من المستشرقين الأمريكيين عملوا على تأجيج الحروب وخصوصاً الحروب الأمريكية الأخيرة بعد الحادي عشر من سبتمبر، ويأتي على رأس هؤلاء الذين برروا تلك الحروب برنارد لويس وفؤاد عجمي، وصفهم بخيانة رسالتهم كطلاب معرفة والذين كان لهم التأثير الأكبر على البنتاجون ومجلس دبليوبوش للأمن القومي، ولهم يدين صقور الإدارة الأمريكية بما زعموه من تبريرات للحروب الأمريكية والذي يصور التدخل الأمريكي المبرر لانتشال الشعوب من تأخرها كما زعموا^(١٨٣).

(١٨٢) ينظر: الاستشراق لإدوارد سعيد، مراجعة: فايز ترحيني، مرجع سابق، ص ١٥٧.

(١٨٣) ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق الآن، مرجع سابق، ص ١٨١.

ويؤكد سعيد على المنطلقات الاستشراقية للترويج للحرب على الإسلام، والذي لم يختلف ويتغير عبر الأزمنة، وهذا ما يظهر في الحرب الأمريكية الأخيرة على البلاد الإسلامية فيقول: "مؤدى القول أن هذه الحرب ما كانت لتقع لولا ذلك المفهوم المنسوج في دأب وإتقان، ومفاده أن هذه الشعوب البعيدة "هناك" ليست مثلنا "نحن" ولا تستسيع قيمنا "نحن" وكلها مزاعم تشكل لب العقيدة الاستشراقية، فجميع الغزاة قد ملأوا دواوينهم بمتقنين محترفين من هذا النوع يأترون بأمرهم وينالون عطاياهم، ويستوي في ذلك الغزاة الهولنديون لماليزيا وإندونيسيا والبريطانيون في الهند وبلاد ما بين النهرين ومصر وإفريقيا الغربية، والفرنسيون في الهند الصينية وشمال إفريقيا. لا عجب إذن أن يلجأ مستشارو البناتجون والبيت الأبيض إلى نفس الشعارات ونفس القوالب النمطية المهينة ونفس التبريرات المضللة سعياً منهم لشرعنة العدوان وفرض السيطرة" (١٨٤).

وقد رسم هؤلاء صورةً للعالم العربي بوصفه أرضاً جرداء قاحلة فاصلة تنتظر القوة الأمريكية كي تقيم عليها في عجلة نموذجها البديل القائم على ديمقراطية السوق الحر (١٨٥).

ويشير سعيد إلى أسباب غلبة الجانب السياسي في العلاقة بين الشرق والغرب فيقول: "وقد أسهمت أشياء في جعل حتى أبسط التصورات للعربي والإسلام قضيةً مُسيّسةً إلى درجة عالية بل تكاد تكون خسنة:

(١٨٤) المرجع نفسه، ص ١٨١.

(١٨٥) المرجع نفسه، ص ١٨٠.

أولاً: تاريخ التحيز الشعبي ضد العرب وضد الإسلام في الغرب، الذي ينعكس مباشرة في تاريخ الاستشراق.

ثانياً: الصراع بين العرب والصهيونية الإسرائيلية، وتأثير هذا الصراع على اليهود الأمريكيين بالإضافة إلى تأثيره على كلا الثقافة التحريرية والسكان عامة.

ثالثاً: الغياب شبه الكلي لأي موقع ثقافي يجعل من الممكن إما توحد الهوية مع العرب أو الإسلام، أو مناقشتها دون شوب عاطفي^(١٨٦).

ويتحدث عن الأطروحات الأمريكية والتي تشوه صورة الإسلام والمسلمين فيقول: "وهاهي المكتبات الأمريكية قد باتت اليوم تعج بأطروحات بالية ذات عناوين طنانة ومثيرة تتحدث عن العلاقة بين "الإسلام والإرهاب" وكشف حقيقة الإسلام و"الخطر العربي" بل وأيضاً "المؤامرة الإسلامية" وأصحاب تلك المؤلفات كتاب سياسيون يتحدثون بلهجة العليم المطلع، إذ يرجعون فرضياتهم إلى خبراء ثقات تعمقوا في أمر هؤلاء الشرقيين غربي الأطوار ونفذوا إلى أدق دخالهم^(١٨٧).

ثم يشير لدور وسائل الإعلام الأمريكية لترويج تلك الافتراءات فيقول: "وقد ساعد هؤلاء المتعالمين في دعوتهم للحرب الدور الحيوي الذي لعبته محطات

(١٨٦) ينظر: الاستشراق، مرجع سابق، ص ٥٩.

(١٨٧) ينظر: الاستشراق الآن، تمهيد لطبعة ٢٠٠٣، مرجع سابق، ص ١٨١.

"سي، إن، إن" و"فوكس نيوز" التلفزيونيتان إضافة إلى عدد هائل من الإذاعات التبشيرية واليمينية وبعض صحف التابلويد بل وبعض الصحف المحترمة نسبياً، فقد انصرف جهد هؤلاء إلى قلب واحد في وجه الشيطان الأجنبي^(١٨٨).

وقد وقف سعيد من الإسلام موقف الحياد، ورد على دعاوى متعصبي المسيحية الذين يتهمون الدين الإسلامي بالعداء للمسيحية، ففي حديثه عن أقارب أمه البروتستانت المعادين للإسلام يقول: "وإنني أرى الآن في نظرة استرجاعية ضرورة أن أضيف إلى ذلك تماهيم الوثيق جداً مع الآراء الأمريكية عن الإسلام بوصفه ديانة منحرفة غير قابلة للتجدد.

لمحت إرهابات مبكرة لذلك العداء للإسلام تحت الأجواء المرحلة التي سادت الاجتماعات العائلية في الضهور، وبدأت لي تعبيراً عن حماس مترممة للمسيحية وهو حماس غير عادي لن تلقاه حتى بين الأتقياء المقدسين. ولأن اسمي "إدوارد سعيد" فقد اعتبروني مسيحياً في لبنان، مع أنني إلى يومنا هذا وبعد سنوات من الاقتتال الأهلي أعترف بعجزني عن الشعور بأي تماه على الإطلاق مع الفكرة القائلة بأن المسيحية ديانة يهددها الإسلام^(١٨٩).

ويستعرض مواقف بعض الأسر المتعصبة ضد الإسلام فيقول: "رأيت تلك الإيدولوجية المسيحية العدوانية متفارقة جداً ومرفوضة، لافتقاري - ومعني

(١٨٨) ينظر: فصول، المرجع نفسه، ص ١٨١.

(١٨٩) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٢١٣.

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩) رجب ١٤٢٣ هـ ٢٠١٣ م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق
الجميع في محيطنا العائلي المباشر - إلى أي شعور بالعداء الديني أساساً تجاه
المسلمين" (١٩٠).

يشير سعيد إلى خطأ المستشرقين في خلطهم بين الإسلام والدول الشرقية
فيقول: "إن الإسلام شيء والدول الشرقية شيء آخر، ولا يجوز للأوربيين أن
يحملوا الإسلام ومعتقداته جريرة تأخر الشرق وانحطاط الشرقيين. فلا بد إذن من
تصويب النظرة الأمريكية إلى الإسلام والعروبة والشرق، وتصحيح النظرة
الاستشراقية كلها يجعلها أكثر موضوعية خصوصاً أن العالم العربي يرتبط
بالعجلة الأمريكية حضارة وثقافة وسياسة" (١٩١).

ويذكر إدوارد سعيد أن البعض يطلقون التعميمات بدون خجل، تلك
الأحكام المتعلقة بالتضاريس، الإسلام من جهة والديموقراطية والتقدم وحقوق
الإنسان من جهة. وكيف أنه بعد الحرب الباردة هناك إجماع في الولايات
المتحدة حول الإسلام الأصولي على أنه حل محل الشيوعية. وهو يرى أن دور
المتقف لا ينحصر في تبسيط المسألة بالقول: الإسلام هو الحل بل في قراءة
الإسلام بطبيعته المركبة المزدوجة (١٩٢).

(١٩٠) خارج المكان، مرجع سابق، ص ٢١٤.

(١٩١) الاستشراق لإدوارد سعيد، مراجعة: فايز ترحيني، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(١٩٢) عز الدين المناصرة، إدوارد سعيد والنقد الثقافي المقارن: قراءة طباقية، مرجع سابق
، ص ١٤٥.

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩) رجب ١٤٣٣هـ ٢٠١٣م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق

ويناهض إطلاق التعميمات السلبية المنمطة على مجتمعات متنوعة ومختلفة بمسمى واحد، مثل ما يتم إطلاقه على العالم الإسلامي بإطلاق التعميمات الكبرى عليه بحيث تسمح بإصدار الأحكام دون خجل عن الاتساق بين الإسلام والديموقراطية وبين الإسلام وحقوق الإنسان، والإسلام والتقدم^(١٩٣).

في مقالته النقد الديني يقول سعيد : "إن تلك التعميمات الزائدة عن المعقول من مثل (الشرق - الإسلام - الشيوعية - الإرهاب) تلعب دوراً متزايداً في صبغ الآخر بالصبغة اللاهوتية المانوية المعاصرة حيث الإلحاح على مناشدة: السحر أو الطقوس الدينية أو النصوص المقدسة"^(١٩٤).

ويدعو القارئ ألا يستخف بالرؤية الاختزالية للعالم التي صاغت حفنة من المدنيين المتربعين على رأس البنتاجون ووضعوها أساساً للتعامل مع العالمين العربي والإسلامي. ففي هذه الرؤية سنجد مفاهيم من قبيل الإرهاب والحرب الاستباقية وتغيير الأنظمة الحاكمة على نحو متفرد^(١٩٥).

ويبين مدى الدعم العسكري قائلاً : "وكلها أفكار تقف وراءها وتدعمها موازنة عسكرية هي الأضخم في التاريخ، ناهيك عن ترديدها ليلاً ونهاراً وفي تسطيح مغل داخل وسائل إعلام ما برحت تخرع لحسابها ترسانة من الخبراء

(١٩٣) إدوارد سعيد، المتقف والسلطة، مرجع سابق، ص ٧٠.

(١٩٤) إدوارد سعيد والنقد الثقافي المقارن: قراءة طباقية، مرجع سابق، ص ١٤٤.

(١٩٥) إدوارد سعيد، الاستشراق الآن، مرجع سابق، ص ١٨٤.

المزعمون يعملون بدورهم على تبرير توجهات الحكام وإلباسها ثوباً من الشرعية^(١٩٦).

ويشير سعيد إلى أن من سبل فهم القرب والتأثير فيهم معرفة التباين والاختلاف بين المجموعات المتعددة التي يتكون منها المجتمع الغربي، فالغرب ليس بحسب سعيد معسكراً واحداً معادياً للعرب، فعلى العرب والمسلمين معرفة الأطياف المتعددة للمجتمع الغربي، مطالباً بدراسة الآخرين لمعرفة كيف يمكن التعامل معهم، ويناشد الطلبة العرب في الغرب دراسة التاريخ الغربي، مع ضرورة إجادة اللغة التي يتحدث بها الطرف الآخر.

ومن الثوابت في أعمال إدوارد سعيد معارضته للأيدلوجيات والمواقف والممارسات الطائفية المتعصبة، والدافع القوي في عمله النقدي هو مقتله للقيم العنصرية والانعزالية والانفصالية، وقد كان هذا أساساً مبدئياً في نقده للاستشراق، وقد بقي كموضوعه دائمة في الثقافة والإمبريالية^(١٩٧).

وفي مقدمة كتابه الثقافة والإمبريالية يقول: " وإنه ل ذو أهمية خاصة بالنسبة لي كعربي وغربي أن فكرة التعددية الثقافية أن الهجنة _ التي تشكل الأساس الحقيقي للهوية اليوم _ لا تؤدي بالضرورة دائماً إلى السيطرة والعداوة بل تؤدي إلى المشاركة وتجاوز الحدود إلى التواريخ المشتركة والمتقاطعة ، وإنه لعل قدر كبير من الأهمية أن نتذكر ذلك في وقت يحاول فيه متطرفون مثل

(١٩٦) المرجع نفسه، ص ١٨٤.

(١٩٧) إدوارد سعيد ، القلم والسيوف ، مرجع سابق ، ص ١٨.

صموئيل هنتغتون أن يقتنعوا العالم بأن صدام الحضارات أمر محتوم لا مفر منه^(١٩٨). وحول الصور الحديثة للاستشراق المعاصر يشير سعيد إلى استغلال أبحاث الطلاب المبتعثين في خدمة الأهداف الاستشراقية قائلاً: "والعملية التي يمارسها المستشرقون الجامعيون الآن، أنهم يوجهون الرسائل الجامعية لطلابهم العرب والمسلمين من ذوي الضعف الأكاديمي الوجهة التي يريدونها، فتفرض على هؤلاء بطريقة أو بأخرى مواضيع أبحاثهم"^(١٩٩). فالطلاب العرب الذين يعملون في المؤسسات البحثية والجامعات الأمريكية ليسوا في نظر سعيد سوى مخبرين أصليين يعملون عن وعي أو غير وعي لصالح مؤسسة الاستشراق الأمريكي بخلفياتها المعروفة^(٢٠٠).

وحول مواجهة الاستشراق يشير سعيد إلى أهمية إنشاء مؤسسات ومراكز لدراسة الغرب تقارع مراكز الدراسات الاستشراقية في الغرب دون الانزلاق إلى استغراب معكوس يشابه مناهج المستشرقين، وفي ذلك يقول: "إنها لصدمة موقظة أن نجد على سبيل المثال أنه فيما توجد عشرات من المنظمات لدراسة الشرق العربي والإسلامي في الولايات المتحدة فليس ثمة مؤسسة واحدة في الشرق لدراسة الولايات المتحدة، وهي أعظم المؤثرات الاقتصادية والسياسية

(١٩٨) إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب دار الآداب، بيروت، ط١،

١٩٩٧م ص ١٠.

(١٩٩) باقر بري، إضاءات على كتاب الاستشراق، دار الهادي، بيروت، لبنان، ص ١١٢.

(٢٠٠) المرجع نفسه، ص ١١٥.

مجلة كلية أصول الدين العدد (٩) رجب ١٤٢٣ هـ ٢٠١٣ م إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق
إطلاقاً في المنطقة^(٢٠١). وفي سبيل مواجهة الصورة الاستشراقية النمطية للعرب
في وسائل الإعلام الغربية يدعو سعيد إلى الرد المنهجي القانوني بالاستفادة من
الآليات الديمقراطية الغربية التي تتيح للدفاع عن الحقوق من خلال المحاكم
القانونية، ويشير إلى ذلك بقوله: "في الولايات المتحدة هناك أفلام تصنع وأقوال
تقال وكتب ومقالات كثيرة تنشر تبدي أشد أنواع العنصرية تجاه العرب
والمسلمين دون أن تجد من يتحداها أو يجيب أو يحتج عليها، سواء عن طريق
المحاكم القانونية، حيث يمنع القانون من العنصرية العرقية والدينية الصريحة أو
عن طريق تأسيس مكاتب مراقبة ومتابعة ورد واحتجاج^(٢٠٢). ويلقي باللائمة
على الإعلام العربي المتخاذل في تصحيح الرؤية المغلوطة عن العرب
والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، ويبيدي نظرة تفاؤل بإمكانية تصحيح تلك
الصورة المشوهة إذا بذلت الجهود العلمية والعملية بدعم من الدول العربية
وبمشاركة فاعلة من الجاليات الإسلامية في الغرب^(٢٠٣).

وهكذا صور سعيد الاستشراق تصويراً دقيقاً بين فيه حقيقة الاستشراق
وأبرز ملامحه المنهجية ومنطلقاته الفكرية، مبيناً أوجه التوافق والاختلاف بين
الاستشراق القديم والمعاصر، ومؤكداً على استخدام وسائل الإعلام في
الاستشراق الحديث وبين الطريقة المثلى في مواجهة الاستشراق.

(٢٠١) الاستشراق، مرجع سابق، ص ٣٢١..

(٢٠٢) إضاءات على كتاب الاستشراق، مرجع سابق، ص ٨٩.

(٢٠٣) ينظر : إدوارد سعيد ، القلم والسيف ، مرجع سابق ، ص ٨١.

الخلاصة

تظهر أبرز نتائج هذه الدراسة في المحاور التالية :

- اتضح من خلال هذه الدراسة أن من أبرز أسباب التأثيرات الكبيرة التي أحدثتها كتابات سعيد في الوسط الثقافي ما تميزت به شخصيته من علو للهمة وحرص على استثمار جل وقته فيما يفيد، وما يتميز به من نكاء وفطنه وسرعة بديهية ظهرت في حواراته ومناقشاته، مع ما تميز به من ذاكرة قوية ساهمت في تميزه العلمي واستحضاره لأدق التفاصيل في مسيرة حياته.
- شكلت كتابات إدوارد سعيد وجهوده الفكرية والنقدية ثورة معرفية كبيرة، ولاقت كتبه صدى كبيراً وانتشاراً واسعاً خصوصاً كتابه الاستشراق الذي خلف نقاشات واسعة وردود فعل كبيرة، وكان من أبرز عوامل شهرة سعيد الفكرية.
- عمل سعيد على تجلية حقيقة وواقع الاستشراق وعلاقته بالإمبريالية، ووصف الاستشراق بأسلوب للهيمنة على الشرق يقوم على ادعاء الفوقية الغربية مقابل الدونية للشرق، وأن الاستشراق قد أخضع لتبرير الحكم الاستعماري وبذلك تحول عن إنشاء بحثي إلى مؤسسة إمبريالية.
- تميز سعيد في دراسته للاستشراق بإحاطته بمعظم المناهج والنظريات الإنسانية إذ درس التراث الاستشراقي من إمام جيد ومعرفة بخلفيات

المجتمعات الغربية ومنطلقاتهم الفكرية، وتمكن من استيعاب مناهجهم وتوظيف تلك المعرفة في دحض منتوجهم الاستشراقي.

- أكد سعيد أن المعرفة الاستشراقية تعتمد على نصوص تخيلية عن الشرق، لا تصور الواقع تصويراً حقيقياً، فالشرق في نظر المستشرقين يمثل لديهم الأساطير والصور الخيالية.

- أشار إلى تسخير المستشرقين للمنهج الفيلوجي اللغوي لتأكيد النزعة العرقية والنظرة الفوقية للغرب على الشرق كما ورد في كتابات دي ساي، وإرنيست رينان، والتي تقرر بين اللغات السامية والتخلف الأخلاقي والقصور البيولوجي مقابل التقدم والفوقية للأوروبيين.

- تميز سعيد بمنهجه النقدي، ومثل ريادة كبيرة في ميدان النظرية النقدية الأدبية، وظل النقد سمة سعيد وهويته، وشمل اهتماماته وحياته كلها، بدءاً بنقده لذاته ولأسرته إلى نقده للإمبراطوريات الكبرى، وقد انبنى فكر سعيد النقدي على قراءة الثنائيات المتضادة في علاقة الإمبريالية بالثقافة مستخدماً القراءة الطباقية في نقده.

- عاب سعيد على المثقفين الذين يتخلون عن رسالتهم ويفرطون في مبادئهم مبرزاً ما يجب أن يكون عليه المثقف الحقيقي من تمثيل المعاناة الجماعية لأبناء شعبه والشهادة على ما كابدوه، فكان يدعو المثقف أن يكون مناهضاً لكل أشكال الاستبداد والسيطرة والظلم.

- نادى باستخدام المنهج الإنساني في دراساته، والذي يعطي من قدرة الإنسان على التغيير والإصلاح، وناهض الفكر الكنسي الكنهوتي الذي يقوم على تقديس الأشخاص وسلب قدرة الإنسان على المساهمة في صناعة التاريخ.
- أكد على أن الاستشراق المعاصر نحى منحى التخويف من الإسلام بزعم علاقة الإسلام بالإرهاب والأصولية، وتصوير والتخويف من الخطر العربي والإسلامي القادم لاكتساح البلاد الغربية وحكمها.
- أشار إلى أن الاستشراق المعاصر لم يختلف عن الاستشراق القديم في المنطلقات وفي ترديد الشبهات والمزاعم نفسها عن الإسلام والمسلمين، وكان التغيير في مجرد استحداث آليات جديدة ارتكزت على تسخير وسائل الإعلام في ترويح تلك الشبهات الاستشراقية القديمة.
- حذر من توجيه أبحاث الطلاب العرب المبتعثين للدراسة في الغرب في خدمة الأهداف الاستشراقية الاستعمارية واستخدامهم أدوات كمخبرين.
- ظهر دور إدوارد سعيد المتميز في الدفاع عن القضية الفلسطينية، فكان له الفضل في إبرازها عالمياً في المحافل الدولية من خلال كتاباته وحواراته ومشاركاته الإعلامية.
- دعا إلى مواجهة الاستشراق بطرق إيجابية، بإقامة مراكز دراسات وإعداد أبحاث متميزة، - الانزلاق إلى استغراب معكوس يستخدم أساليب المستشرقين السابق

- وجه إلى إيجاد وسائل قانونية في مواجهة الحملات المغرضة ضد الإسلام بالاستفادة من نتيجة آليات الديمقراطية الغربية من حق المرافعات ورفع القضايا في المحاكم ضد الادعاءات الموجهة للمسلمين في حق الدفاع عن الحقوق عن طريق المحاكم القانونية ، وعن طريق تأسيس مكاتب.

- ١- إدوارد الخراط، ريادة نظرية ونقدية، www.almustagbal.com
- ٢- إدوارد سعيد، تغطية الإسلام، ترجمة: محمد كرزون، نينوى، للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦م.
- ٣- إدوارد سعيد، تعقبات على الاستشراق، ترجمة: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م
- ٤- إدوارد سعيد، الاستشراق الآن ، ترجمة: حازم عزمي، مجلة: فصول.
- ٥- إدوارد سعيد، الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ط٢، ١٩٨٤م، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان.
- ٦- إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٧- إدوارد سعيد ، القلم والسيوف ، حوارات مع دافيد بارسيमान ، ترجمة: توفيق الأسدي ، دار كنعان للدراسات والنشر ، ط ١ ، ١٩٨٨م
- ٨- إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.
- ٩- إدوارد سعيد، خارج المكان، (مذكرات) ترجمة: فواز طرابلسي، دار الأدب للنشر والتوزيع، ط١، عام ٢٠٠٠م.

- ١٠- أيمن شرف، إدوارد سعيد ، الغائب عن مكانه حيا، وميتا، إسلام أون لاين.
- ١١- باقربري، إضاءات على كتاب الاستشراق؛ دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ١٢- تركي خالد الظفيري ، منهج إدوارد سعيد في نقد الاستشراق والانتقادات الموجهة له، ، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ.
- ١٣- حازم خيرى، إدوارد سعيد، أنسنية بالإضفاف، www.ahewar.org
- ١٤- حسام محيي الدين الألوسي، صور نقدية للاستشراق التقليدي والجديد، سلسلة الثقافة المقارنة، الاستشراق الجزء ٣، دار الشؤون الثقافية العامة.
- ١٥- حلمي ساري، المعرفة الاستشراقية دراسة في علم اجتماع المعرفة، مجلة العلوم الاجتماعية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت.
- ١٦- خالد سعيد، إدوارد سعيد ناقد الاستشراق قراءة في فكره النقدي، ط١، بيروت، ٢٠١١.
- ١٧- زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياساته، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٧ م.

١٨- زينب الغازي، جدل السياسة والثقافة في خطاب إدوارد سعيد النقدي، مجلة فصول.

١٩- سماح إدريس مقال: مثالية التوجه الإنساني،

www.almustaqbal.com.

٢٠- شاكِر فريد حسن، البرفيسور إدوارد سعيد في ذكرى غيابه،

www.aljabha.org

٢١- شعبان يوسف، طرف من نقد استشراق إدوارد سعيد: هل كان ماركس مستشرقاً، مجلة فصول، العدد ٦٤ صيف ٢٠٠٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٢- صادق جلال العظم: العالم كله خسره،

www.almustaqbal.com

٢٣- طارق علي، ذكريات مع إدوارد سعيد، مج: مجلة فصول، العدد ٦٤ صيف ٢٠٠٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٤- عز الدين المناصرة، إدوارد سعيد والنقد الثقافي المقارن، قراءة طباقية، مجلة فصول، العدد ٦٤، صيف ٢٠٠٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٥- فايز ترحيني، الاستشراق، إدوارد سعيد، مجلة الفكر العربي، العدد ٣٢، إبريل ١٩٨٣م، معهد الأنماء العربي، بيروت.

٢٦- ماهر جرار، مقال: الفلسطيني الذي فجر الهويات،

www.thenationpres.net

- ٢٧- محمد خروبوات، الاستشراق والاستشراق مزدوجاً، المشكاة، المجلد الثامن، العدد ٢٩: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- ٢٨- مريد البرغوثي، إدوارد سعيد: صوت التفكير المستقل، مذكرة.
www.mouridbarghouti.net
- ٢٩- ميلي ستيل، النفى أم التجدر سياسات الاختلاف عند إدوارد سعيد وكورنيل ويست، مجلة فصول.
- ٣٠- نديم نجدي، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد، حسن حنفي، عبد الله العروي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
- ٣١- نصر حامد أبو زيد: ينتمي إلى الإنسانية،
www.almustagbal.com
- ٣٢- نعمان السامرائي، الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين محمد أركون، وإدوارد سعيد، دار صبري للنشر والتوزيع.
- ٣٣- نعوم تشومسكي، صديقي الحميم، thenationpress.net
- ٣٤- نهى بيومي، الخاص والعام وقلق الهوية قراءة طباقية لسيرة إدوارد سعيد الذاتية. www.jehat.com
- ٣٥- هدى وصفي، الندوة: إدوارد سعيد، مجلة: فصول. العدد ٦٤ صيف ٢٠٠٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٣٦- وائل عبد الفتاح، رحيل المفكر والكاتب الفلسطيني الكبير إدوارد سعيد، almustagbal.com.